IUGJIS
Vol 25, No1, 2017, pp 179-210
ISSN 2410-5201

تاريخ الإرسال (2016-08-20)، تاريخ قبول النشر (2016-11-09)

الرّؤيا في تاريخ الفكر الإنسانيّ: المقاربات العلميّة والسّياقات الدّلاليّة

د. نزار علي الصّغير صميدة [1,*]

[1] أستاذ أوّل فوق الرّتبة في مادّة التّربية الإسلاميّة والتّفكير الإسلاميّ – وزارة التّربية_ الجمهوريّة التّونسيّة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

e-mail address smida_nizar@yahoo.fr

الملخص:

يمثّل هذا البحث دراسة في موضوع الرّؤيا كمبحث من مباحث الفكر الإنسانيّ، فليس ثمّة مجتمع بشريّ لم يثر فيه هذا الموضوع بغضّ النّظر عن رقيّ هذا المجتمع من عدمه، فقد تعاطت المجتمعات الإنسانيّة مع هذا المبحث في مختلف مراحل تاريخها انطلاقا من الإنسان البدائيّ ووصولا إلى الإنسان المعاصر، وقد كان لكلّ وسائله وآليّاته ومناهجه الخاصّة في فهم الظّاهرة تفسيرا وتأويلا، وتفكيكا وتحليلا، لذلك كانت المقاربات العلميّة لمسألة الرّؤيا جمّة غزيرة تعكس انشغال الفكر الإنسانيّ منذ القديم بالمسألة، وهو الأمر الّذي أفرز أبعادا وسياقات دلاليّة ثريّة ومتنوّعة لمصطلح الرّؤيا اقتضت الدّرس والتّحليل والتّمحيص لبيان مكمن الأهمّية في المصطلحوسبب تهيّب الإنسان منهذهالظّاهرة وانشغاله بها واشتغاله عليها.

كلمات مفتاحية:

الرّؤيا، الحلم، الكهانة، العرافة، البصر، البصيرة، الحالومة

Visionary in the history of human thought: scientific approaches and semantic contexts

Abstract

This research is a study in the subject of visionary on the basis of that's a search of Investigationhuman thought, There is no human society which did not affected by this topic regardless of the advancement of this society or not. Human societies have dealt with this topic in the various stages of its history, from Neanderthal until modern humans, It was for each its means and mechanisms and methods for understanding the phenomenon an explanation and interpretation, and dismantling and analysis.

So it was the scientific approaches for the matter of visionary frequent and abundant reflecting the preoccupation of human thought since the old by this issue.

That's the matter that produced dimensions and semantic contexts rich and diverse for the term of visionary that required study, analysis and verification in order to show the importance of the term and the cause of human anxiety from this phenomenon and his preoccupation and his activities about it.

Keywords:

Vision, Apocalypse, Rêve, Revelation, Dream.

المقدمة

أهمّيّة البحث وسبب اختياره: بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتّبع هداه واستنّ بسنّته إلى يوم الدّين، وبعد فإنّ مسألة الرّؤيا من المسائل المشكلة والملغزة في تاريخ الفكر الإنسانيّ على اختلاف مشاربه وتوجّهاته ومناهجه وأدواته، لذلك والحال تلك فإنّ هذا البحث هو محاولة لبيان أهمّيّة الرّؤيا في تاريخ البشريّة في مختلف مراحله، وهو أيضا محاولة لتسليط الضّوء على مناهج الفكر الإنسانيّ في تعاطيه مع الرّؤيا مصطلحا ودلالة، وعلى نتاجات هذا الفكر في تناولاته المختلفة للمسألة من حيث حقيقتها ومصدرها وأثرها في الكائن البشريّ.

خطة البحث: يضمّ بحثنا مقدّمة وخاتمة وثلاثة مباحث: المبحث الأوّل بعنوان: الرُّؤى والأحلام في تاريخ الشُّعوب القديمة، والثّاني بعنوان: مُقاربات اصطلاحيّة وعِلميّة لمُصطلح الرُّؤيا، أمّا الثّالث فبعنوان: الحقلالدّلاليّ لمُصطلح الرُّؤيا، وتضمّ المباحث مسائل وتحتوي المسائل على عناوين فرعيّة كما هو بيّن في الخطّة العامّة للعمل.

منهج البحث: من حيث المنهج اعتمدنا في هذا البحث جملة من المناهج العلميّة هي: المنهج التّاريخيّ وقد وظّفناه في تناولنا لمسألة الرّؤيا في تاريخ الشّعوب القديمة، وكذلك المنهج الوصفيّ التّحليليّ وقد اعتمدناه في بيان المقاربات العلميّة والاصطلاحيّة المختلفة والمتنوّعة لموضوع الرّؤيا، وأيضا المنهج المقارن وقد يسّر لنا هذا المنهج إقامة بعض المقارنات بين الطّروحات العلميّة المختلفة للمسألة(الرّؤيا) وبين السّياقات الدّلاليّة المتنوّعة للمصطلح (الرّؤيا).

الإضافة المرجوّة: لعلّ ما قد يضيفه هذا البحث هو التّأكيد على أهمّيّة الرّؤيا كمبحث إشكاليّ في تاريخ البشريّة فكرا وممارسة وتصوّرا، والإشارة إلى الحضور المستمرّ لهذا المبحث في مختلف الدّوائر البحثيّة العلميّة بفروعها المتنوّعة والمختلفة، وكذلك التّوجيه إلى مزيد العناية البحثيّة بموضوع الرّؤيا وتتبّع كلّ النّتاجات العلميّة الحديثة فيه في مختلف التّخصّصات وتقييمها وتقويمها والمقارنة بينها.

الدّراسات السّابقة: في الحقيقة تُنُولِ مبحث الرّؤيا في مؤلّفات شتّى سواء أكان ذلك في ثنايا الكتب ذات المواضيع الأعمّ أو في الكتب المفردة للمسألة ولكن هذه التّناولات اقتصرت على البحث الجزئيّ للظّاهرة أو بمعنى آخر تناولها أو تنزيلها بحثيّا في سياق بعينه دون أن يكون ثمّة تطواف علميّ مع المصطلح في دلالاته المختلفة أوتناولاته العلميّة المتنوّعة لذلك فهذا البحث المتواضع هو محاولة للقيام بذلك

المبحث الأوّل: الرُّؤى والأحلام في تاريخ الشُّعوب القديمة

المسألة الأولى: الرُّؤى والأحلام عند البِدائيّين

لقد كانت بِداية الرُّؤى والأحلام مع الإنسان البِدائيّ الأوّل، صاحب التّفكير السّاذج البسيط، ذلك الإنسان الّذي حيّره أنْ يرى في منامه أشياء لم يألفها، ولم تكن يومًا قريبةً منه ولا موجودة عنده، لذلك قادهُ تفكيرهُ البسيط، أو ربّما الفِطريّ إلى الاعتقاد بأنّ الرُّؤى والأحلام تحصل بفعل تدخّل الآلهة أو الشّياطين. وبناءً على هذا، فإنّ البِدائيّين صاروا يعتقدون بأنّ للأحلام وظيفة كُبرى في حياتهم، فهي تكشف في تصوّرهم حقائق الغيْب وخفاياه.

إنّ الإيمان بصحّة الأحلام عادة قديمة لازمت الشّعوب البِدائيّة. فالإنسان البِدائيّ لم يكن يرى فرقًا كبيرًا بين ما يراهُ في المنام (الحلم)، وما يراه في اليقظة، فالأحلام في تصوّره ناشئةً عن خروج الرّوح من البدن عند النّوم لتسيحَ في الآفاق وتستجلي ما غاب وخفيَ من الحقائق[1].

والشّواهد الّتي يقدّمها الباحثون في الميثولوجيا القديمة على اعتقاد البِدائيّين في صِدقيّة المضمون الحُلميّ كثيرة، فالأفراد في بعض القبائل البِدائيّة لا يجدون فرقًا بين أفعالهم في اليقظة وأفعالهم في الحلم، فإذا رأى أحدهم في منامه شخصًا يهدّده أو يعتدي عليه، أيْقنَ أنّ الشّخص يفعل ذلك حقًّا، واعتبر ذلك سببًا كافيًا لمُعاتبته والانتقام منه في اليقظة، ومن ذلك مثاليْن ينقلهما الباحث العراقي "علي الوردي" عن الباحث الغربيّ "James Arthur Hadfield" في كتابه: " Dreams and nigh mares"، إذْ يورد في المثال الأوّل قصّة رجلٌ من الهُنود الحُمر رأى في منامه أحد المُبشّرين يسرق يقطينًا من مزرعته، فلمّا أفاق استشاط غضبًا وطالب هذا المُبشّر بالتّعويض، ورغم تفقّده لليقطين في مزرعته ووُجوده على حاله لم يُسرق، فقد أصرّ على طلب التّعويض، مُعتقدًا أنّ رُؤية المبشّر في الحلم سارقًا دليل قاطع على أنّه مُستعدّ للسّرقة لو كان قريبًا من المزرعة، إذْ كان يبعد عنها 200 ميل.

1 - أنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 16-17.

أمّا المثال الثّاني، فيُورد قصّة مُضحكة لامرأة حديثة عهد بالزّواج رأت في الحلم أنّ زوجها يغازل امرأة شقراء، فكان ذلك كافيًا بالنّسبة إليها لإدانة زوجها واتّهامه بالخيانة، ولمّا أُخبرت بأنّ زوجها بريء ممّا تنسبه إليه، كان جوابها أنّه إذا كان يُغازل الشّقروات في أحلامها هي، فما تراه يفعل في أحلامه هو ؟[2].

إنّ هذا المثال الأخير، وإنْ كان مُضحكًا في ظاهره، إلاّ أنّه في واقع الحال مُؤكّد لما كان يحظى به مضمون الأحلام من صِدقيّة عند البِدائيّين، لذلك نجد لهذا المثال حضورًا عند مُختلف الشّعوب البِدائيّة، وإنْ تنوّعت وتطوّرت صياغته، والأحكام المُترتّبة عليه، فقبائل "الأشانتيس" أو "الأشانتي"[3] الغانيّة مثلاً، كانت ترى أنّ الرّجل الّذي يحلم بأنّه جامع امرأة رجل آخر يجب أنْ يُعاقب بالغرامة الاعتياديّة على الخِيانة الزّوجيّة، لأنّ روحه وروحها اتّصلتا معًا اتّصالاً جنسيًّا[4]، هذا في حال كانت المرأة مُتزوّجة، أمّا في حال كانت فتاة عزباء، فإنّ العُرف القبَليّ في بعض القبائل البِدائيّة يُجيز للرّجل الّذي رأى إحدى الفتيات تحته في المنام أنْ يتّخذها زوجةً له، إذْ ما دام اتّصل بها في الحلم اتّصالاً جنسيًّا، فإنّ الاتّصال بها في اليقظة جائزٌ بعد ذلك[5].

لقد نشأ إيمان البِدائيّين بأنّ أحداث الحُلم ذات طبيعة واقعيّة من اعتقادهم الرّاسخ بأنّ الحُلم هو حالة تواصل مع قُوى وكائنات علويّة، من مثل الأرواح، فقد آمن البِدائيّون بظهور أرواح الموتى في الحُلم لتُنذرهم وتُحذّرهم وتنقل إليهم رسائل من نوعٍ خاصٍّ. ونجد هذا الاعتقاد مثلاً عند هُنود "الموهافا" و"اليوما"، الّذين آمنوا بهذا الدّور للأرواح في الأحلام، فكان ظهور أقربائهم، الّذين ماتوا منذ عهد غير بعيد، في الحلم مُخيفًا، لِما تحمله أرواحهم من تحذيراتٍ ورسائل[6].

إنّ جُملة هذه الأمثلة الّتي ذكرناها تُؤكّد بما لا يقبل الشكّ أنّ الأحلام والرُّؤى مثّلت بالنّسبة للبِدائيّين مصدرًا لاستكناه المغيّبات والعلم بِما يُناسب المرضى من عِلاجاتٍ، فقد مثّلت بالنّسبة إليهم عالمًا غريبًا أو ظاهرةً حيّرت عقولهم وملأت بالهلع نفوسهم.

وفي الواقع ليس الإنسان البِدائيّ وحده مَنْ شغلته هذه الظّاهرة أو أقضت مضجعه، فالرُّؤى والأحلام كانت حاضرة في المُخيّلة البشريّة على مرّ التّاريخ بحثًا وتفسيرًا واستدلالاً وتأويلاً، ففي كلّ العصور كانت هُناك رُؤى وأحلام أشبعت تفسيرًا وتأويلاً، وربّما كانت لغالبيّة البشر بُرهانًا ودليلاً في مُختلف أمورهم، وذلك بسبب ما كان يحيط بها من أسرارٍ وألغازٍ ومعرفةٍ بالمُستقبل عند أرباب الثّقافات القديمة.

المسألة الثّانية: الرُّؤى والأحلام عند الرّافديّين

لم تختلف الشّعوب المُتمدّنة القديمة عن الشّعوب البِدائيّة في أمر تقديس الأحلام، واعتبارها إلهامًا من الإله أو من الآلهة، فقد أوْلت حضارة ما بين النّهرين أهميّة عظيمة للأحلام، الّتي مثّلت بالنّسبة للرّافديّين رسائل غامضة من العالم الآخر، تتضمّن طلاسم تحذيراتٍ وأوامر، كان لا بدّ من فكّها وإيجاد التّفسير الصّحيح لها.

وقد أُوكِلت هذه المَهمّة العظيمة والجسيمة للكَهَنة، الّذين كانوا جزءًا لا يتجزّأ من الحياة اليوميّة في بلاد ما بين النّهرين، لِما لهم من قُدرةٍ هائلةٍ على تفسير الرُّؤى والأحلام وفكّ طلاسمها أو شيفراتها.

وكما هو معلوم، فإنّ الآلهة كثيرة في بِلاد الرّافدين، حيث كان كلّ إله أو إلهة يختصّ بمهمّة معيّنة، لذلك كان للبابليّين إله خاصّ بالأحلام والرُّؤى، وهو الإله أو الإلهة "ماخر" أو "ماكر"[7].

---

2 – أُنظر: Hadfield : Dreams and nigh mares, p. 3-4. (نقلا عن الوردي في كتابه: الأحلام بين العلم والعقيدة ص17).

3 – **الأشانتي**: مجموعة عِرقيّة تعيش أساسًا في منطقة الأشانتي بوسط غانا ويعيش مُعظمهم في قُرى ومُدن صغيرة، وأكبر مُدنهم كوماسي، وهم شعبٌ ريفيٌّ أهمّ موارده محصول الكاكاو، وقد أسّست الأشانتي مملكة عظيمة بعد توحيدهم لممالك الآكان الصّغيرة، ولكن انتهى الحال بمملكتهم هذه أنْ صارت مُستعمرة بريطانيّة سنة 1901م، ولكنّهم ظلّوا مُحافظين على هويّتهم = ومثّلوا مجموعة عِرقيّة متميّزة داخل غانا.(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة ، 310/1).

4 – أُنظر: فروم: الحِكايات والأساطير والأحلام، ص 85.

5 – أُنظر: الشّافعي: الوهم، ص 34.⬅(أبومدين الشّافعي (1339–1378هـ/1921–1958م): عالم نفس جزائريّ، وُلد بتلمسان وتلقّى تعليمه الابتدائيّ والثّانويّ فيها، ثمّ سافر إلى مصر وحصل على درجة الدّكتوراه في علم النّفس من جامعة القاهرة، ودرّس فيها علم النّفس سنتيْن، كما فتح عيادة للعِلاج النّفسي في مصر، شارك في الحركة الوطنيّة في بلاده، وكانت له كُتب ورسائل مطبوعة، منها: التّنويم المغناطيسيّ" و"الرّاحة النّفسيّة" و"الصّراع النّفسيّ" و"النّوم والأرق").(الزّركلي: الأعلام، 198/7).

6 – أُنظر: فروم: الحِكايات والأساطير والأحلام، ص86.

7 – أُنظر: الطّويل: الأحلام، ص 112.

إنّ ما يُؤكّد عِظَم شأن الرُّؤى والأحلام في حضارة بلاد ما بين النّهرين، هو ما تضمّنته المدوّنة الرّافديّة من ذِكر للقائمين على شأن الأحلام في هذا العصر أو ذاك، إذْ تُشير الكِتابات المِسماريّة إلى أنّ بِلاط ملك "آشور"، "آشور بانيبال" (668–633 ق.م) قد ضمّ مُحترفي أحلام من الآشوريّين والبابليّين، وحتّى من المصريّين الّذين كانوا يُمارسون وظيفة تفسير الأحلام[8].

فقد كانت خزانة كُتب الملك الآشوريّ تعجّ بالرُّقُمِ والألواح الّتي تتضمّن مآثر بلاد الرّافدين وأدبها الملحميّ من "الإينوما إيليش" إلى ملحمة "جلجامش" "Gilgamech"، وغيرها من روائع الأدب العالميّ، ومن بين هذه الألواح والكُتب "كتاب الأحلام"[9]، وهو أقدم كتاب دوّنت فيه قوانين المادّة الحُلُميّة الّتي تبلورت فيما بعد في المؤلّفات اليونانيّة والعربيّة[10]. بل إنّ قراءة الأحلام مثّلت في الثّقافة الرّافديّة فرعًا من فروع الكهانة الّتي كانت تُمارس في بلاد ما بين النّهرين منذ فجر التّاريخ. فتأويل الأحلام قد احتلّ موقعًا مهمًّا في الطّرائق الوحييّة في الشّرق القديم[11].

إنّ ما يُؤكّد هذا التّصوّر هو أنّه قد تمّ التّعامل مع الحلم بوصفه وحيًا إلهيًّا في كثير من الأحيان، ففي قصّة الطّوفان مثلاً، سواء البابليّة منها أو السُّومريّة، جاء الإعلام عن الطُّوفان من جهة إلهيّة عبر طريقة الحلم "فزيوسدار" "Ziusudra" بطل الطّوفان السُومريّ مثلاً، رأى حلمًا لم يرَ شبهًا له قطّ، فأخذ يتضرّع للآلهة، عسى أن تُظهر له معناه، ثمّ بعد ذلك سمع صوتًا يأمره بالوقوف خلف حائط لتلقّي قرار الطّوفان[12]. وكان ذلك الصّوت صوت الإله "إنكي" "Enki"[13].

وكذلك كان الشّأن مع بطل الطُّوفان البابليّ "أوتنابشتيم" "Utunapechtim" الّذي أيضًا رأى حلمًا خاطبه فيه الإله "إيّا" "Iya"[14] من وراء جِدار كوخه القصب، وكشف له فيه سرّ الآلهة[15]، كما يُؤكّد نصّ "بيروسوس" "Berosus" للطّوفان بالمثل على الحلم كواسطة للاتّصال ببطل الطُّوفان[16].

في الواقع إنّ الحلم كوسيلة للمعرفة لم يكن حاضرًا في قصّة الطّوفان فحسب، بل في غيرها ممّا حفلت به الآثار الملحميّة الرّافديّة، ففي ملحمة "جلجامش" "Gilgamech"، يرد ذِكر لحلم رأى فيه "جلجامش" بطل مدينة "Uruk" وحاكمها نفسه يمشي مُختالاً فرِحًا بين الأبطال، ثمّ ظهرت كواكب السّماء ليسقط أحدها إليه كالشِّهاب المُتّقد، فيُحاول رفعه أو تحريكه دون جدوى ليتمكّن بعد ذلك بمساعدة أصدقائه من حمله ثمّ وضعه عند قدميْ أمّه الّتي جعلته نظيرًا له، ولمّا أفاق "جلجامش" قصّ حلمه على أمّه الّتي فسّرت له مضمون الحلم، بأنّه سيكون له صاحب قويّ يُلازمه ويُعينه عند الضّيق، ليظهر فيما بعد صديقه القويّ "إنكيدو" "Enkidu" ويُؤكّد تفسير أمّه للحلم[17].

و لم يكن "جلجامش" الملك الوحيد في بلاد الرّافدين الّذي رأى حلمًا أو أحلامًا وطلب تفسيرا لها، فأحد النّصوص اليهوديّة المقدّسة يُخبرنا بحكاية ملك بابليّ آخر هو الملك "نبوخذ نصر" الّذي قد رأى حلمًا أزعجه وطلب تفسيره من العرّافين والسَّحَرة وغيرهم من المجوس والكلدانيّين، جاء في سفر "دانيال" ما نصّه: "وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذْنَصَّرَ، حَلَمَ نَبُوخَذْنَصَّرُ أَحْلاَمًا، فَانْزَعَجَتْ رُوحُهُ وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يُسْتَدْعَى الْمَجُوسُ وَالسَّحَرَةُ وَالْعَرَّافُونَ وَالْكَلْدَانِيُّونَ لِيُخْبِرُوا الْمَلِكَ بِأَحْلاَمِهِ. فَأَتَوْا وَوَقَفُوا أَمَامَ

8 – أُنظر: بونغراكز، و سانتنز: الأحلام عبر العصور: مُعجم تفسير الأحلام، ص 23–25.

9 – انظر كتاب "إنجيل بابل" لخزعل الماجديّ، ص 296–298. ففيه ذِكر لكتاب الأحلام ومكوّناته ومُحتوياته.

10 – أُنظر: فهد: الكهانة العربيّة قبل الإسلام، ص 175.

11 – المرجع نفسه، ص 46 وص 175.

12 – أُنظر:السّواح: مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطُورة، سوريا وبلاد الرّافديْن، ص 158–159 وص 187.

13 – "إنكي" "Enki": هو إله الحِكمة وإله المياه السّفليّة (Epsou). (مغامرة العقل الأولى، ص 377. وانظر أيضاً: الطّوفان في المراجع السّماويّة لعبد الواحد فاضل علي، ص 28).

14 – "إيّا" "Iya": هو المُرادف البابليّ للإله السّومريّ. "إنكي" "Enki".(السّواح، فِراس: مغامرة العقل الأولى، ص 377).

15 – انظر: السّواح: جلجامش ملحمة الرّافديْن الخالدة، ص 218، (العمود الأوّل من السّطر 19 إلى السّطر 22).

16 – أُنظر: السّواح: مغامرة العقل الأولى، ص 187.

17 – انظر: باقر: ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، ص 44–45.(يتكرّر الحلم ذاته بصيغة أخرى وعناصر حلميّة أخرى، ولكن التّفسير يكون نفسه للحلمين من قبل الأمّ. انظر: ص 45–46. يمكن أيضا العودة إلى كتاب إنجيل بابل لخزعل الماجديّ، فقد أورد فيه صاحبه نصّ الحلمين وتفسيرهما وغيرها من أحلام جلجامش، انظر الصفحات 200 –202 وص 215 وما بعدها مثلاً).

الْمَلِكِ.فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: «قَدْ حَلَمْتُ حُلْمًا وَانْزَعَجَتْ رُوحِي لِمَعْرِفَةِ الْحُلْمِ»[18].

ولكن كلّ هؤلاء عجزوا عن تفسير حلم الملك الّذي غضب واغتاظ وأمر بإبادة كلّ حُكماء بابل، ولم ينقذهم إلاّ تفسير النّبيّ "دانيال" لحلم الملك، فبعد أن يذكر "دانيال" للملك ما رآه في الحلم يفسّر له ذلك ويُعْلمهُ بأنّ حلمه إيذان بزوال حكمه وسلطانه وبقيام ممالك أخرى من بعد مملكته وآخرها المملكة الّتي يقيمها إله السّماوات فلا تنقرض أبدًا[19].

إنّ هذه الأمثلة والنّماذج الّتي قدّمناها، وغيرها كثير، تُبيّن بشكلٍ جليٍّ ما كان للأحلام من شأن وأهميّة في حضارة بلاد الرّافدين، فليس أدلّ على هذا الشّأن وهذه الأهمّية من أن يكون للرّافديّين إله للأحلام وكتاب للأحلام، ورُؤاة للأحلام وكهَنَة يفسّرون هذه الأحلام، وإنّ هذا الحضور الطّاغي للأحلام في حضارة بلاد ما بين النّهرين لن نعدم وجوده في غيرها من الحضارات والميثولوجيات الّتي نهلت بشكل أو بآخر من التّراث الرّافديّ بمسمّياته المُختلفة.

المسألة الثّالثة: الرُّؤى والأحلام عند قُدماء المصريّين

أعطى المصريّون القُدماء درجة عالية من الأهمّية للأحلام والرُّؤى، فكان لهم مثل البابليّين إلهة للأحلام، هي الإلهة "بِس"[20]، الّتي كانت صورتها تنقش على الوسائد الّتي ينام عليها المصريّون استجلابًا للحلم السّعيد[21].

إنّ تقديس قُدماء المصريّين للأحلام واعتقادهم في صدقيّتها وخارقيّتها، جعل الرّوح الّتي كانت تنفصل عن الجسد أثناء اللّيل، في تصوّرهم مرتبطة بصورة وثيقة بالعالم المُتعالي، حيث كانت تستقبل رسائل من الإله تتعلّم منها دسائس الشّياطين ضدّ الجسد، كما كانت تمتلك من خلال هذه الرّسائل عبر الأحلام القُدرة على التّواصل مع الموتى وإقامة علاقات معهم، بالإضافة إلى تلقّي التّوجيه من الآلهة والأموات المقدّسين، وكشف خبايا المستقبل، فالنّاس في وادي النّيل قد بجّلوا الأحلام وتقفّوا آثارها باحترام وَرِعٍ وخلّدوها حتّى في الصّخر، فمن ضمن ما جاء في كلمات الحكمة المصريّة القديمة أنّ الإله يُعطي العقاقير لشفاء الأمراض، والخمر لطرد الحزن، والأحلام لتوجيه الحالم الّذي لا يعرف مستقبله[22].

وفي الحقيقة لم يكن عامّة النّاس من المصريّين وحدهم من يولون هذه الأهمّية وهذا القدر للأحلام، فالجميع في مصر القديمة كانوا يحلمون بدءًا بالفرعون وانتهاءً بآخر فلاح أو مزارع مصريّ يشقى في سبيل تحصيل قوته، فكثيرًا ما كان الحلم يمتزج بالسّياسة وشؤون الدّولة وأمورها، فحينما يحلم الفرعون فإنّ لحلمه دلالات كبرى تتحكّم بازدهار البلاد أو بحدث سياسيّ عظيم، إذ يُحدّثنا القرآن الكريم، وتُحدّثنا التّوراة عن هذا الاهتمام البالغ الّذي كان المصريّون القدماء يولونه لتأويل الأحلام، وكيف أنّ يوسف الصدّيق عليه السّلام استطاع بلوغ مركز عال في الدّولة وأصبح عزيز مصر لمجرّد أنّه عبّر رُؤيا واحدة للفرعون، فقد جاء في القرآن الكريم نصّ حلم الملكالفرعونيّ في سورة يوسف، إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: 43).

وقد عبّر يوسف عليه السّلام هذه الرّؤيا خير تعبير، وجاء تعبيره لها في قوله عزّ وجلّ:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونْ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(يوسف: 47-49).

وبالمثل ذكر سفر التّكوين هذا الأمر مع فارق بسيط هو أنّ الفرعون رأى مضمون الحلم في حلمين منفصلين، فرأى في الأوّل البقرات العجاف تأكلن البقرات السّمان[23]. ورأى في الثّاني السُنبلات الخضر والأخر اليابسات[24].

---

18 – دانيال: 2/1-3.

19 – انظر نصّ الحلم وتفسيره في سفر دانيال: 2/31-45.

20 – بس أو بسته: معبودة مصريّة قديمة، صوّرها أصحابها غالبًا في هيئة هرّة، وأحيانًا في هيئة لبؤة، وأقاموا لها معبدًا في مدينة عرفت باسمها "بوبسطة" في شرقيّ الدّلتا. (غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 712/2).

21 – أُنظر: الطّويل: الأحلام، ص 112.

22 – أُنظر: بونغراكز و سانتنز: الأحلام عبر العصور، (معجم تفسير الأحلام)، ص 23-25.

23 – أُنظر: تكوين: 41/1-4.

24 – أُنظر: تكوين: 41/5-7

وفي الواقع إنّ تفسير يوسف عليه السّلام لحلم الفرعون في سفر التّكوين يجعله واحدًا في مضمونه، إذ يقول يوسف عليه السّلام للفرعون معبّرًا رؤياه: "حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ"[25]، أي بمعنى أنّ الحلم وإنْ تكرّر على الفرعون مرّتين، فإنّ مضمونه واحد مقرّر من قبل الله[26].

إنّ وُرود قصّة حلم الفرعون المصريّ في نصّين سماويين مؤكّد ومبيّن لما كان يوليه حُكّام مصر القديمة من عناية بالغة للأحلام ومضامينها وتفسيراتها لدرجة أنّ الملك الفرعونيّ حشد جميع سحرة مصر وحُكمائها لتعبير رُؤياه[27]. وهذا يؤكّد ولو ضمنيًّا أنّ من بين حُكماء مصر وكهنتها من اختصّ في تفسير الأحلام خاصّة وأنّ بلاط الملك الآشوريّ "آشور بانيبال" (668 –633 ق.م) قد ضمّ مفسّري أحلام من أصل مصريّ كانت تدوّن أسماؤهم في سِجلّات الملك كممتهنين لحرفة تفسير الأحلام، ولربّما لعب كهنة المصريّين من المفسّرين دور خُبراء في تفسير الأحلام في بلاد ما بين النّهرين وفي فلسطين[28].

المسألة الرّابعة: الرُّؤى والأحلام عند الفُرس

قبل بيان قيمة الأحلام والرّؤى وأهمّيتها عند الفُرس، لا بدّ في البداية من الإشارة إلى أنّ الفُرس آريون[29] سكنوا شبه القارة الهنديّة في البدء، لكنّهم انفصلوا بعد ذلك مشكّلين كيانهم الخاصّ كأمّة لها موطنها الّذي اختارته مستقرًّا لها، إذ نزحوا من الهند ليستقرّوا في إيران، وإنّ ما يؤكّد آرية الفُرس في واقع الأمر هو أساطيرهم الّتي تُحاكي في كثير منها أساطير الهند القديمة، لكن هذا لا ينفي تأثّرهم بتراث بلاد ما بين النّهرين.

لقد أولى الفرس كأسلافهم من الآشوريّين والبابليّين أهمّيّة عظمى للأحلام وما تُنبئ به من خفايا الغيب، بل ومثّلت الرّؤى والأحلام بالنّسبة إليهم وسيلة لكشف ما هو كائن من أمر الثّواب والعقاب في الآخرة، فقد جاء في كتاب "أرداويراف نامه" وهو كتاب مجهول المؤلّف، كُتب باللّغة الفهلويّة، وظهر في العصر السّاساني، وصف لرؤيا رآها رجل من المجوس يسمّى "ويراز" بعد أن وقع اختياره من قبل موابذة[30] المجوس لصلاحه وتقواه، فأجلسوه على منصّة وقدّموا إليه شرابًا مُسكرًا وشربه، فأخذ منه الشّراب مأخذه وراح في غيبوبة حالمة وهامت به روحه في العالم الآخر، حيث شاهد ما أُعدّ للمؤمنين والكافرين على حدّ السّواء، ثمّ أفاق من سكرته تلك بعد أيّام سبعة، فتحلّق حوله رجال الدّين وقادة الجيش مُستطلعين خبر ما شاهد بعد عروجه في السّماء، واستدعي كاتب ليُملي عليه "ويراز" عجب ما شاهد من عذاب الشّياطين وثواب المؤمنين[31].

إنّ هذه الرّؤيا وما تضمّنته من صعود أو معراج إلى السّماء، ربّما كانت مرتبطة بالكهانة الحُلميّة الآشوروبابليّة الّتي ارتبطت أصولها بأساليب الانخطاف الرّوحيّ، فالفرس قد تأثّروا تأثّرا بالغًا بأسلافهم الرّافديّين، وأخذوا عنهم كثيرًا من طرائقهم الكهانيّة الّتي من بينها الأحلام وما يصحبها من صعود إلى السّماء واستكناه لخبر ما هو كائن أو سيكون، ولعلّ هذ الأمر يفسّره ذلك الهاجس الكبير الّذي كان يسيطر على التّفكير الدّينيّ للفرس، هاجس الفناء والنّهايات والخلاص والمصير، إذ حفلت أساطيرهم وملاحمهم بهذه المواضيع الأخرويّة، يقول الباحث "Philippe Ginoux" في هذا الصّدد:

« En effets, les mythes d'origine sont étroitement liés en Iran aux spéculations sur la fin des temps, la destinée individuelle ou général,la résurrection et l'avènement d'un monde nouveaux »[32].

وليست الأساطير ولا الكُتب المقدّسة وحدها الّتي تُبرز اهتمام الفرس بالأحلام ومضامينها وتعابيرها، بل يُمكن أن نستجلي ذلك

25 – تكوين: 25/41

26 – اُنظر تكوين: 32/41

27 – اُنظر تكوين: 8/41 و يوسف: 43/12

28 – اُنظر: بونغراكز و سانتنز: الأحلام عبر العصور (معجم تفسير الأحلام)، ص 25.

29 – الآريّون: هم جماعة من النّاس استقرّت في إيران والهند الشّماليّة حوالي 1500 ق.م. وتسمّى لغتهم أيضا الآرية، وفي السنسكريتية، وهي لغة هنديّة قديمة تعني كلمة أريا النّبلاء.(انظر الموسوعة العربيّة العالميّة، 578/1).

30 – هم كبار رجال الدّين عند الفُرس. (انظر: الأسفار المقدّسة في الأديان السّابقة للإسلام، لعلي عبد الواحد وافي، ص 136).

31 – اُنظر: المصري: الأسطورة بين العرب والفرس والتّرك: دراسة مقارنة، ص145، وانظر أيضًا:

(Philippe Ginoux. Nouveaux regards sur l'Apocalyptique Iranienne, p. 344).

32 – Philippe Ginoux: المرجع نفسه، ص 335–336.

بوضوح من تاريخ حكّام الفرس وملوكهم، حيث يذكر "شيشرون "Tullius, Cicero, Marcus"خطيب الرّومان وفيلسوفهم نقلاً عن "دينون" "Dinon" واضع تاريخ الفرس حلمًا لأحد حُكّام الفرس، وهو الأمير "كايروس""Cyrus" الّذي رأى في حلم له ذات مرّة أنّ الشّمس قائمة عند قدميه، فحاول أن يمسكها ثلاث مرّات. وكانت في كلّ مرّة تبتعد عنه وتهرب منه، ثمّ اختفت بعد ذلك ليُنبئه كهنة الفرس القدامى ، الّذين كانوا يعتبرون بين الفرس من الحكماء والعلماء، بأنّ إمساكه للشّمس ثلاث مرّات يُنبئ بأنّه سيتولّى الحكم ثلاثين عامًا، وقد تحقّق ذلك حسب ما يرى "شيشرون"، لأنّ هذا الأمير الفارسيّ عاش حتّى بلغ السّبعين من عمره، وكان قد تولّى الحكم في سنّ الأربعين[33].

من الواضح إذن أنّ الفُرس بتشكيلاتهم المختلفة رجال دين كانوا أم عسكرًا أم حكّامًا كانوا يؤمنون بالرّؤى والأحلام وما تُنبئ به، ويسعون إلى تفسيرها وتمثّلها، فتفسير الكهنة لحلم الأمير دليل على أنّ ذلك كان من اختصاصهم ويدخل ضمن مشمولاتهم، ودليل أيضًا على أهمّية الرّؤى والأحلام عندهم وعند حاكمهم.

وإنّ هذه الصّورة النّمطيّة للكهنة المفسّرين ليست خصيصة فارسيّة، إذ كما رأينا كانت حاضرة مع الرّافديّين والمصريّين القدامى، وهي صورة ستبرز بشكل أكثر ضبطًا وتقنينًا مع اليونانيّين والرّومان.

المسألة الخامسة: الرّؤى والأحلام عند الإغريق

لم يكن الحلم ظاهرة بسيطة في نظر الإغريق الأقدمين، فقد اهتمّوا اهتمامًا بالغًا بهذه الظّاهرة، فالأحلام وتفسيراتها عند اليونانيّين كانت متعدّدة ومتنوّعة الأشكال تمامًا كتنوّع الطّبقات الاجتماعيّة وكثرتها في اليونان القديمة.

بل وشكّلت الأحلام سلاحًا في الصّراعات الأسطوريّة القائمة بين الآلهة، فوفق ما يفيد "أوربيد" (يوريبيدوس)[34] ، فإنّ الأحلام هي أولاد "غايا" (الأرض) الّتي كانت تُرسل الأحلام للفنّانين انتقامًا منهم، ذلك أنّ "أبولون"[35] إلههم طردها من "دلفي"[36] في غابر الأزمان ليحلّ محلّها في توجيه الوحي الإلهيّ، لذلك كانت تقدّم لنبوءاتها بصور الأحلام[37]، أمّا "هوميروس"[38] فيجعل الإله "زيوس" "Zeus"[39] إلها مرسلاً للأحلام، ويرى أنّ الحلم ما هو إلاّ وحي من هذا الإله.

ويؤكّد ذلك "هزيود"[40] وغيره من قدماء الإغريق، وقد تطوّرت هذه الفكرة وشاعت بين الأثينيّين حتّى غدا هذا الإله يظهر في أحلام المرضى ليُرشدهم إلى العلاج[41].

فاليونانيّون جميعًا كانوا مُقتنعين بأنّ رموز الحلم هي برقيات مرموزة واردة من العالم الآخر، تعمل كوسيط بين النّائم من جهة والأبطال وقوى الجحيم والأجداد أو أرواح الموتى النّائهة من جهة أخرى[42].

لقد اعتقد اليونانيّون القدماء بصحّة الرّؤيا وألّفوا في تعبيرها كُتبًا ، فمن كتّابهم الّذين اشتغلوا بذلك ولم ينكروا الرّؤيا كوسيلة لتبليغ

33 – أُنظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 66–67.

34 – أوربيد: أو يوريبيدوس (480 أو 485 ق.م – 406 ق.م) من أعظم شعراء المأساة اليونانيّين، نظم 92 مسرحيّة كانت الأولى سنة 455 ق.م، كان يؤمن بالعقل والتّفكير المنطقيّ ويسخر من الآلهة وينتقد تصرّفاتهم.
(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 3665/7).

35 – أبولون أو "أبولو": إله النّور والموسيقى والشّعر والنّبوءات عند اليونان، وكان أصلا إله الرّعاة والقطعان، وإله الشّقاء، وهو ابن ليثون من زيوس، كان معبده في دلفي من أهمّ معابد اليونان. (الموسوعة العربيّة العالميّة، 111/1).

36 – دلفي: موقع ببلاد اليونان على سفح جبال برناسوس، وهو يستمدّ شهرته من مراسم كهانة اليونان التّي كانت تجرى في المعبد العظيم المشيّد فيه. (غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1515/3).

37 – أُنظر: بونغراكر و سانتنز: الأحلام عبر العصور، ص 47.

38 – هوميروس: أعظم شعراء اليونان، وصفه نقادهم بأنّه البداية والنّهاية وأنّه معلّمهم ونبيّهم ، نظم الإلياذة والأوديسة باللّهجة الأيونيّة، وقد وقعت ترجمتها في العصر الحديث، يرجّح أنّه قد عاش في القرن 8 ق.م في آسيا الصّغرى. (غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 3542/7–3543).

39 – زيوس: سيّد الأرباب في أساطير اليونان، اغتصب العرش من أبيه كرونوس ثمّ قسّم الكون بينه وبين إخوته، مثل رمزًا للقانون والقوّة وكان صاحب الكلمة العليا في مجلس آلهة الأولمب. (الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1764/4).

40 – هزيود أو هسيود: شاعر يونانيّ عاش في القرن 8 ق.م، يعدّ عند اليونان منشئ الشّعر التّعليميّ، اشتغل بزراعة الأرض ونظم قصائد كثيرة كـ "الأعمال والأيّام" و"أنساب الآلهة".(الموسوعة العربيّة الميسّرة، 3502/7).

41 – أُنظر: الطّويل: الأحلام، ص 111–112.

42 – أُنظر: بونغراكز و سانتنز: الأحلام عبر العصور، ص 60.

الوحي الإلهيّ "بلوتارك" "Plutarch"[43]، فقد وضع مؤلّفات في هذا العلم[44].

وليس "بلوتارك" الكاتب اليونانيّ الوحيد الّذي اشتغل بالأحلام وتعبيرها، إذ لمّا انتشرت بين الإغريق القدماء عادة التّأليف في العلوم المُختلفة، ظهر من بينهم مؤلّف اختصّ بدراسة الأحلام، اسمه "أرطميدوروس"[45] الإفسسيّ الذي صنّف كتابًا في الأحلام، تُرجم فيما بعد إلى العربيّة من قبل "إسحاق بن حنين"[46]. ومثّل القرن العاشر للميلاد منطلقًا جديدا لعلم تفسير الأحلام العربيّ، الّذي اقتبس من هذا الكتاب خطّته ومنهجه وعددًا لا بأس به من عناصره الرّمزيّة في تصوّر الباحث "توفيق فهد"[47].

وشاطره الرّأي في ذلك الباحث العراقيّ "عليّ الورديّ"، الّذي يقول في معرض ذكره لـــ"أرطميدوروس": "وحين نقرأ كُتبه نجد شبها غريبًا بينها وبين الكُتب المنتشرة بين المسلمين في تأويل الأحلام"[48].

إنّ ما يُميز فكر "أرطميدوروس" في تفسير الأحلام هو أنّه نصّ على التّفرقة بين الرّؤيا الصّادقة والأحلام الباطلة، فعبّر عن الأولى بـــ"أونيروس" بمعنى يقول ويقول الحقّ، وعن الثّانية بـــ "أنيبون" التّي تعني الحلم الّذي لا يتحقّق، بل وجعل إقناع مُنكريها (الرّؤيا) عاملاً من العوامل التّي حفّزته لوضع كتابه في الأحلام[49].

ولم يشذ "أرطميدوروس" عمّا كان سائدًا في عصره من رواج الاعتقاد بحضور العُنصر الإلهيّ في الأحلام، فعزا الأحلام كلّها إلى تدخّل الآلهة، ورأى أنّ الرّموز فيها تستمدّ جذورها من شخصيّة الحالم ومركزه وظروفه وعادات مجتمعه، لذلك أوجب على مفسّرها (الأحلام) فهم هذه الأمور فهمًا تامًّا يُقْدِرُهُ على معرفة ما ترمز إليه من أنباء الغيب[50].

قبل أن نختم[51] مع "أرطميدوروس" يجدر بنا أن نُشير أنّه ليس من المُستبعد أن يكون كتابه في الأحلام قد تأثّر بالتّراث الرّافديّ في هذا الباب، لا سيما إذا ما أخذنا في الاعتبار واقع أنّ سلفه "إريستاندروس" التّيلميسوسيّ مفسّر الأحلام الأكثر شهرة في عصر "الإسكندر الأكبر"[52] قد رافق هذا الفاتح في أغلب حملاته، فلا يمكن أن يكون قد سها عن طرائق فنّه الّتي كانت شائعة داخل البلدان المفتوحة[53].

لم يقتصر تأثير الأحلام في اليونان القديمة على الأساطير والشّعر والعلم، بل تجاوز كلّ ذلك لتكون الرّؤى والأحلام حاضرة في الحراك السّياسيّ والاجتماعيّ للإغريقيّين، فقد كان لها أثر كبير في توجيه سياستهم في حكم البلاد، فالمحكمة العليا لأثينا مثلاً كانت تأخذ بما تقرّره الرّؤيا من إدانة المتّهمين أو تبرئتهم، وليس أدلّ على ذلك من المثال الّذي يقدّمه "شيشرون" عن شهادة "سوفوكليس"[54] الّتي أخذت بها المحكمة وحكمت على المتّهم استنادًا إليها، ومضمون

43 – بلوتارك: مؤرّخ وناقد يونانيّ من أعظم من كتب السّير والتّراجم في العالم القديم، زار مصر وإيطاليا وأثينا وروما وحاضر فيها، شغل منصب كاهن في دلفي، ومن أبرز مؤلّفاته "حيوات متوازية".(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 766/2).

44 – أُنظر: قمري: الحلم والرّؤيا في الفلسفة والعلم والدّين، ص26.

45 – أرطميدوروس: أو ارتميدوروس: يونانيّ من إفسس في آسيا الصّغرى، عاش بين 134 م و200م، كان مفسّر أحلام محترف، له كتاب بعنوان "أرتميدور للأحلام" وقد زعم أنّ الإله أبولون ظهر له في الحلم وألزمه أن يحرّر هذا الكتاب. (انظر: الأحلام عبر العصور، ص 63–64. والموسوعة العربيّة الميسّرة، 218/1).

46 – طبيب ومُترجم (ت910 أو 911م) ترجم كُتباً كثيرة من اليونانيّة والسّريانيّة إلى العربيّة، وله مؤلّفات في الطبّ، منها "الأدوية المفردة" و"تاريخ الأطبّاء".(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 277/1).

47 – فهد: الكهانة العربيّة قبل الإسلام، ص 176.

48 – الورديّ: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 33.

49 – أُنظر: الطّويل: الأحلام، ص 66.

50 – أُنظر: الورديّ: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 33–34.

51 – ليس أرطميدوروس وحده من اليونانيّين من اهتمّ بالأحلام وتفسيرها، إذ قد اهتمّ بها فلاسفة اليونان الأوائل كسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وسنبيّن آراءهم بالتّفصيل لاحقاً إن شاء الله

52 – الإسكندر الأكبر (اسكندر الثالث) (356–323 ق.م) ملك مقدونيا (336–323ق.م) تتلمذ على أرسطو وأخضع كثيراً من الأمصار لإمبراطوريته، حارب الفرس، واعتنق فكرة الملكيّة الإلهيّة، أسّس مدينة الإسكندريّة، ويعتبر من أعظم القُواد وأبرز الشّخصيات في التّاريخ وإليه يعزى فضل نشر الحضارة الإغريقيّة في ربوع الشّرق. (الموسوعة العربيّة الميسّرة، 288/1).

53 – أُنظر: فهد: الكهانة العربيّة قبل الإسلام، ص 175.

54 – سوفوكليس (496–406ق.م): شاعر المأساة اليونانيّة المشهور، نبغ منذ صباه فأدخل تجديدات عدّة على المسرحيّة واهتمّ بالجزء التّمثيليّ منها من أشهر سرحياته "أوديب ملكا" و"أنتيوجونا" و"الكترا". (غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1931/4).

القصّة أنّه قد سُرق طبق ذهبيّ ثمين من معبد "هرقل"[55] فظهر الإله "هرقل" أو "هيراكليس" بنفسه لـــ"سوفوكليس" في رؤيا وأنبأه عن السّارق، ولكن "سوفوكليس" أهمل أمر هذا النّبإ الّذي تراءى له مرّتين، فلمّا عاوده الإله بعد ذلك مضى إلى "الأريوباجوس"[56] ورفع الأمر أمام القُضاة فأمروا بإلقاء القبض على المتّهم المذكور الّذي اعترف بجريمته بعد التّحرّي وأعاد الطّبق المسروق[57].

إنّ هذا المثال وغيره من الأمثلة شاهد على ما كان اليونانيّون يولونه من قيمة للرّؤى والأحلام، ومؤكّد لشيوعها في السّياق الحضاريّ الإغريقيّ أدبيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا وعلميًّا بل وفلسفيًّا أيضًا كما سنرى لاحقًا مع أبرز فلاسفة اليونان.

المسألة السّادسة: الرُّؤى والأحلام عند الرُّومان

آمن الرّومان كأسلافهم من الشّعوب الأخرى بالرُّؤى والأحلام، واعتقدوا بأنّها وسيلة من وسائل الإلهام وأولوها قدرًا بالغًا من الأهمّية في شؤون الحياة العامّة وفي شؤون الحكم أيضًا، واعتبروها في كثير من الأحيان موضع ثقة وتقدير، يقول "شيشرون" فيلسوف الرّومان مؤكّدًا هذا المعنى: "وقد ظنّ أجدادنا بأنّ العقل البشريّ عندما يكون في حالة يغيب فيها الوعي ويخمد فيها الفكر، ويتحرّك بدوافع من ذاته حرّة لا يعوقها عائق إراديّ، فإنّ هذا العقل يصبح مهبطًا للإلهام بإحدى طريقتيْن الجِنّة أو الرُّؤيا"[58].

إنّ ما يُؤكّد عناية الرّومان بالأحلام ومضامينها هو أنّ أحد الهياكل الدّينيّة الأربعة[59] في الدّولة الرّومانيّة قد أوكلت إليه مهمّة تفسير الأحلام والنّبوءات، وهذا الهيكل هو هيكل كهنة حماية وتفسير الكُتب المقدّسة، وكانت مهمّة أعضائه –بالإضافة إلى حماية الكُتب المقدّسة– تفسير مضامين النّصوص النّبوئيّة بما فيها الأحلام، وبخاصّة كُتب التّنبوءات السّيبيليّة وغيرها. ولأهمّية هذا المجلس أو الهيكل، فإنّ العضويّة فيه كانت تشغل مدى الحياة[60].

لقد كانت الأحلام والرّؤى في روما محلّ دراسة هذا الهيكل أو المجلس وغيره من هياكل الدّولة الرّومانيّة، فقد كانت الحياة الرّومانيّة مليئة بالتّنبؤات والأحلام وخاصّة ما كان متّصلاً منها بالسّياسة والحُكّام، إذ يُخبرنا "شيشرون" أنّ المجلس الأعلى في روما لم يُهمل من الأحلام ما بدا على اتّصال بإدارة الشّؤون العامّة، ومن ذلك أنّ تجديد بناء معبد المخلصة "جونو"[61]، بقرار من مجلس الشّيوخ كان استجابة لرُؤيا وقعت لابنة "بلايريكوس" "Balaericus"[62]، المُسمّاة كيكيليا" "Caecilia"[63].

ومن الأمثلة الّتي جعلت الرّومان يقيمون صِلات وشيجة بين الأحلام والسّياسة والحُكّام، حادثة وفاة "يوليوس قيصر"[64]، فقد رأت زوجته "كالبورينا" في منامها حلمًا تشاءمت منه غاية التّشاؤم، إذْ رأت أنّ برج منزلها قد تهدّم وأنّ زوجها قد طُعن وهو بين ذراعيها، كما حذّر العرّاف "سبورينا""Spurina" "يوليوس قيصر" من خطر عظيم، لا يُمكن ردّه، يلمّ به في يوم الخامس عشر من شهر مارس، ومن

---

55 – هيراكليس أو هيركوليس: أشهر الأبطال في الأساطير اليونانيّة والرّومانيّة، انتشرت عبادته ببلاد اليونان ثمّ في إيطاليا، وقد كان بطل مسرحيّات سوفوكليس ويوريبيدوس وسنيكا . (غربال: الموسوعة العربية الميسّرة، 3551/7).

56 – الأريوباجوس: محكمة أثينا العليا الّتي كانت تنعقد ليلاً وأريوباجوس هو مكان في الشّمال الغربيّ من أكروبول بأثينا، سمّيت المحكمة باسمه. (انظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 71، الهامش 4. وانظر أيضا: الموسوعة العربية الميسّرة، 247/1).

57 – أُنظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 71–72.

58 – المرجع نفسه، ص38–39.

59 – الهياكل الدّينيّة الأربعة في روما هي: **مجلس العرّافين أو مفسّرو حركات الطّير والطّالع** وتجاوز عدد أعضائه 16 في صدر الجمهوريّة ، **مجلس الكهنة** وعدد أعضائه تجاوز أيضا 16، **كهنة الولائم** وكان عددهم سبعة، **كهنة حماية وتفسير الكُتب المقدّسة**، وعددهم 15 عضوا(عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان، 182/9–183).

60 – أُنظر: عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان، 183/9.

61 – هي كبرى بنات ساتيرن Saturne وريا Rhéa ، وهي أخت جوبيتر وزوجته، وهي تعادل Héra اليونانيّة الّتي تُعتبر حارسة الزّواج وحامية المرأة من مهدها إلى لحدها.(شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 39).

62 – هو كايكليوس متلوس بلايريكوس، كان قنصلاً رومانيًّا سنة 123 ق.م.(شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 40).

63 – أُنظر: شيشرون: المرجع نفسه، ص 39–40.

64 – هو كايوس يوليوس قيصر (120–44 ق.م): سياسيّ، رومانيّ وقائد عسكريّ بدأ نشاطه السياسيّ بمناوءة مجلس الشّيوخ ومناصرة العامّة، تدرّج في المناصب العامّة حتّى تولّى القنصليّة (59 ق.م) دخل روما في نهاية مارس 49 ق.م، وأصبح سيّد إيطاليا، اغتيل في منتصف مارس 44 ق.م. (غربال: الموسوعة العربيّة الميسرّة، 2609/5.).

المعلوم أنّ شمس ذلك اليوم لم تغرب إلاّ و"يوليوس قيصر" قد فارق الحياة إثر طعنة تلقّاها من قبل صديقه "بروتس"[65].

لم يقتصر حضور الأحلام عند الرّومان على شؤون الحُكم والحُكّام والسّياسة، بل كان لها حضور في الحياة الاجتماعيّة العامّة للرّومانيّين، ومن الأمثلة على ذلك أنّ الاحتفال بالألعاب النّذريّة العظيمة الّتي احتُفل بها لأوّل مرّة إبّان الحرب اللاّتينيّة توقّف إثر اضطرابات حصلت في روما، ولم يتمّ استئناف هذا الاحتفال إلاّ إثر رُؤيا رآها أحد العامّة من الرّومان وعرضها على مجلس الشّيوخ الّذي اعتقد في صدق رُؤياه وأعاد الاحتفال بالألعاب مرّة أخرى[66].

إنّ هذه الحادثة وغيرها[67] تبيّن دون شكّ ما كانت تمثّله الرُّؤى والأحلام عند الرّومان، وكيف أنّها كانت تُسَيّر حياتهم وتحكمُها على جميع الأصعدة والمستويات، من أبسط مواطن رومانيّ إلى أسمى مسؤول في الدّولة الرّومانيّة.

لقد كانت الرُّؤى والأحلام وتفسيراتها محلّ الكثير من الفضول والتّساؤلات على مرّ العصور، لذلك لعبت دورًا هامًّا في الأدب والدّين والشّؤون العامّة لدى كلّ الشّعوب، وإنّنا إذْ اكتفينا ببيان أهمّيتها لدى الشّعوب المذكورة ، فذلك لأنّها الشّعوب الأكثر شهرة وتأثيرا في أهل الكتاب والمسلمين على حدّ سواء ، فإنّه لا يخفى على أي باحثٍ في الأديان ما لهذه الشّعوب والحضارات من تأثيرٍ عميقٍ في دين وثقافة وفكر أهل الكِتاب[68] تحديدا.

إلاّ أنّه لو تسنّى لنا الحديث عن الرُّؤى والأحلام وفنون تفسيرها وبالغ تأثيرها في مختلف حضارات وشعوب العالم، لجازَ أنْ نذكر "الصينيّين" ومبدأهم "الطّاوي" في تفسير الأحلام و"الهُنود" وفلسفتهم فيها، و"الحيثيّين" و"الكمبوديّين" و"اليابانيّين" و"الفينيقيّين" واهتمامهم بها ودراستهم لها[69]، فلم تخلُ حضارة ولا شعب على مرّ التّاريخ البشريّ من الأحلام والرُّؤى والتّنبّؤات.

المبحث الثّاني: مُقاربات اصطلاحيّة وعِلميّة لمُصطلح الرُّؤيا

المسألة الأولى: المقاربة اللّغويّة

لمّا كانت الرُّؤى أمرًا مُلازمًا للبشريّة في مراحل تاريخها المختلفة، فإنّ محاولات اللّغويّين لتحديد معنى أو مدلول لفظ "الرُّؤيا" بقدر ما كانت عسيرة كانت غزيرة، فقد حاول كلّ عالم لغة تحديد مدلول اللّفظ باللّغة الّتي يلهج بها قومه، ونحن في هذا المبحث لن نتناول المدلول اللّغويّ للفظ في مختلف لُغات العالم، وإنّما سنقتصر على ثلاث لُغات بعينها، هي اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة واللّغة الإنجليزيّة وذلك لشيوعها وتداولها بين النّاس أكثر من غيرها.

وبدءًا باللّغة العربيّة، فإنّ لفظ "رُؤيا" في العربيّة يعود إلى الجِذر الثُّلاثيّ (ر.أ.ى) الّذي يفيد معاني كثيرة منها الرُّؤية بالعين أو الذِّهن، ففي "الهادي إلى لغة العرب": "رَأَى يَرَى رَأْيًا وَ رُؤْيَةً: أبصر بالعين أو بالذِّهن، ورَأَى في الأمر رَأْيًا: ذهب إلى رأي فيه"[70].

ويؤكّد ابن منظور في اللّسان معنى الرُّؤية بالعين، إذ يقول: "ويُقال رَأَيْتُهُ بعيني رُؤْيَةً ورَأَيْتُهُ رَأْيَ العين، أي حيث يقع البصر عليه"[71]. ويضيف إلى هذا المعنى معنى الرُّؤية بالقلب فيما ينقله عن "ابن سيّده"، فيقول: "رَأَى زيد عالمًا ورَأَى رَأْيًا ورُؤْيَةً ورَاءَةً، مثل راعَةً، وقال "ابن سيّده": الرُّؤية النّظر بالعين والقلب"[72].

وتفيد "الرُّؤيا" في لغة العرب أيضا ما يراه النّائم في منامه، يقول ابن منظور: "والرُّؤيا ما رَأَيْتَهُ في منامك، وهي الرُّؤَى، ورَأَيْتُ عنك

---

65 – أُنظر: الشّنتاوي: التّنبؤ بالغيب قديما وحديثا، ص 40–41.

66 – أُنظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 73.

67 – انظر جملة الحوادث الأخرى في: علم الغيب في العالم القديم، ص 73–76.

68 – لقد خضع بنو إسرائيل لحكم الآشوريّين والبابليّين والفُرس واليونانيّين والرُّومان، وهذا الأمر تؤكّده مختلف المصادر التّاريخيّة، الأمر الّذي يؤكّد أخذهم ونهلهم بشكل أو بآخر من ثقافة هذه الحضارات وشعوبها، فالمغلوب مولع على التّوام بتقليد الغالب في كثير من أحواله.

69 – راجع في منزلة الرّؤى والأحلام عند هذه الحضارات والشّعوب المراجع التّالية:

– أرطميدوروس:تعبير الرّؤيا. و – بودوان:علم النّفس المركّب، تفسير أعمال يونغ.

– د. كرشنا و د. مور: الفكر الفلسفيّ الهنديّ.

– Sounerou, Et .Leibovici: Les Songes et leur interprétation.

– Encyclopedia Universalis : Le rêve.

– Jung, Et loffont : L'homme et ses symboles.

– Teillard : Ce que disent les rêves, Le symbolisme du rêve.

70 – الكرميّ: الهادي إلى لغة العرب، 114/2.

71 – ابن منظور: لسان العرب، 64/6.

72 – المرجع نفسه، 62/6.

رُؤًى حسنة حلمتها، وأَرْأَى الرّجل إذا كثُرت رُؤَاه، بوزن رُعاهُ، وهي أحلامه جمع الرُؤيا، ورَأَى في منامه رُؤيا على فُعْلَى بلا تنوين، وجمع الرُّؤْيَا رُؤًى بالتّنوين، مثل رُعًى"[73]، ويؤكّد "الكرميّ" هذا المعنى[74]. بقوله: "الرُّؤيا ما يراهُ الإنسان من الأحلام في النّوم، والجمع رُؤًى"[75].

في الواقع إنّ للفظ "الرُّؤيا" معانٍ كثيرة استفاض في شرحها أهل اللّغة والبلاغة، ممّن نذروا أنفسهم لحفظ لسان العرب من الضّياع، من أمثال "ابن منظور" وغيره، ولكن المعاني الأكثر شيوعًا وتداولاً في معاجم وقواميس اللّغة العربيّة لهذا اللّفظ يُمكن حصرها بالأساس في ما يلي:

الرُّؤيا: الرُّؤية بالعَيْن المجرّدة (البصر)، الرُؤيا: الرُّؤية بالقلب أو بالبصيرة، الرُّؤيا: النّظر والتّفكّر والتّدبّر (الرّأي)، الرُّؤيا: الحُلم أو ما يراه النّائم في منامه[76].

إنّ هذه المعاني الكثيرة للفظ "الرُّؤيا" في اللّغة العربيّة، نجد لها مثيلاً في اللُّغَتَيْن الفرنسيّة والأنجليزيّة وغيرهما من اللّغات، كما سنرى لاحقًا، ففي اللّغة الفرنسيّة مثلاً نجد أنّ لفظ "الرُّؤيا" العربيّ يرِد في المُعجمات والقواميس الفرنسيّة بصيَغ وتعابير مختلفة ومتنوّعة مثل "Apocalypse"، وهو اسم مُؤنّث من الجِذر اليونانيّ "Apocalypsis"، يقابله في الفرنسيّةلفظ "Découvrir" بمعنى إظهار ما كان مخفيًا، أي "Celare" باللاّتينية أو "Cacher" بالفرنسيّة، ويعبّر بهذا اللّفظ "Apocalypse" أيضا عن آخر سِفر من أسفار العهد الجديد، وهو سِفر رُؤيا يوحنّا اللّاهوتيّ[77].

ولفظ "Apocalypse" يرد كذلك في اللّغة الأنجليزيّة كتعبير عن لفظ "الرُّؤيا"، ومدلوله فيها هو نفس مدلوله في اللّغة الفرنسيّة طبعًا مع الفارق في طريقة النّطق به في اللُّغَتَيْن، وهو يُعَبّرُ في عصرنا عن نهاية العالم الّتي تحدّث عنها سِفر الرُّؤيا وما يصحبها من كوارث[78].

ومن الألفاظ المعبّرة عن "الرُّؤيا" في اللّغتين الفرنسيّة والأنجليزيّة لفظ "Revelation" أو "Revelocium" باللّاتينيّة، وهو مشتقّ من الفعل اللاّتينيّ "Revelare" ، ويقابله في الفرنسيّة "Révéler" وفي الأنجليزيّة "Reveal"، الّذي يعني الوحي أو الكشف أو الإعلان عن السرّ، وهذا اللّفظ أيضا يرِدُ كتسمية لسِفر الرُّؤيا المسيحيّ[79].

أمّا معنى المُشاهدة الحسّية أو القلبيّة الوارد في اللّغة العربيّة، فيرِدُ في الفرنسيّة والأنجليزيّة بالصّيغة التّالية"Vision"، وهي عبارة تفيد في اللّغتينمعنى المُشاهدة الحسّية بالنّظر أو المشاهدة الرّوحيّة الغيبيّة بالإلهام في الرُّؤى بالنّسبة للأنبياء خاصّة[80].

وفيما يتعلّق بلفظ "الحُلُم" الّذي يرِد في اللّغة العربيّة، كمُرادف من مُرادفات لفظ "الرُّؤيا" فيعبّر عنه في الفرنسيّة بعبارة "Rêve"، وفي الأنجليزيّة بعبارة "Dream"، وما تجدر الإشارة إليه هُنا أنّ المعاجم والقواميس الفرنسيّة والأنجليزيّة لم تُرادف بين لفظيْ "Rêve" أو "Dream" ولفظ "Apocalypse"، بل اقتصر الأمر في بيان معنى الكلمتيْن على تقديم شرح علميّ للحُلم على أنّه حالة تعتري الإنسان خلال فترة النّوم، حالة يُمكن وصفها بأنّها نوعمن الهلوسة والتّخيّل[81].

---

73 – ابن منظور: لسان العرب، 65/6

74 – انظر هذا المعنى وغيره من المعاني في مادّة (ر.أ.ى) في "الصّحاح للجوهري"، 2349/6. وفي "معجم مقاييس اللّغة" لابن فارس، 472/2–473. وفي "جمهرة اللّغة" لأبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد، 254/3. وفي "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، ص 605.

75 – الكرميّ: الهادي إلى لغة العرب، 116/2.

76 – هذا المعنى أو المدلول هو ما يعنينا في بحثنا، وسنحاول لاحقًا في إطار بياننا للحقل الدّلالي لمُصطلح "الرُّؤيا" أن نقيم مقارنة بين لفظيْ "رُؤيا" و"حلم" وأنْ نرصد الخيط النّاظم أو الجامع بينهما.

77 – Le Nouveau Petit Robert de la langue française, p. 113. -Dictionnaire Hachette Encyclopédique (Grand format), p. 79.

78 – Thorndike -Le Nouveau petit Robert, Op. cit. p. 113. English-English Arabic, Dictionary, p. 76.

79 – المرجع السّابق، ص 2240. وانظر أيضا:

– Harrap's, Shorter : Dictionnaire Anglais-Français, Français-Anglais, p. 786-787.

– Dictionnaire Hachette Encyclopédique, Op. cit p. 1392.

– Thorndike English-English-Arabic, Dictionary, Op. cit p.1577.

80 – Thorndike English-English-Arabic, Dictionary, p.2076-2077.

81 – Le Nouveau petit Robert, Op. cit. p. 113. -Dictionnaire Hachette Encyclopédique, Op. cit p. 1392. Le Nouveau petit Robert, Op. cit. p. 113.

ويبقى أنْ نُشير في هذا الإطار إلى أنّ لفظيْ "Apocalypse" و"Revelation" حينما يرِدان كمُسمّى لسفر الرُّؤيا، إنّما يُراد بهما الرُّؤيا النّبوئيّة أو النّبوءة النّهائيّة الّتي منحها المسيح عليه السّلام ليوحنّا تلميذه، وهي نبوءة تصوّر على نحو رمزيّ القضاء على الشرّ نهائيًّا وانتصار الخير في النّهاية[82].

وبما أنّ اللّفظين يعبّران في التّاريخ المعاصر عن نهاية العالم، فإنّهما أصبحا في الغرب مُسمّى لكلّ ما هو كارثيّ ومُدمّر خاصّة لفظ "Apocalypse".

إنّ هذا الثّراء الدّلاليّ لمُصطلح "الرُّؤيا" في اللّغات الّتي رأينا، سنُعاينه في المقاربات العلميّة لهذا المصطلح، وإن تنوّعت هذه المقاربات وانطلق فيها أصحابها من حقلهم المعرفيّ الّذي خبِروه، وفي بيان معنى "الرُّؤيا" وظّفوه.

المسألة الثّانية: المُقاربة الفلسفيّة

لم يكن الفلاسفة يوما بمنْأى عن الرُّؤى والأحلام ومضامينها وتأثيراتها، فقد اهتمّوا بها شأنهم في ذلك شأن عامّة البشر، فمُعظم الفلاسفة في العصر الإغريقيّ القديم كانت لهم تأمّلات حول الطّابع الأساسيّ للحُلم ومدلولاته، ومن بين من اهتمّ بالحلم من فلاسفة الإغريق الأوّلين الطّبيب "أبقراط"[83] الّذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان يرى أنّ الرّوح في فترة النّوم تحتفظ بالقُدرة على التّفكير والشّعور، وأنّ ما ينقطع هو فقط الاتّصال بالحواسّ الّذي يكون قائمًا بصورة وثيقة في حالة اليقظة، وقد أدّى به ذلك إلى اكتشاف أنّ أمراضًا وشيكةً قد تُعلن عن نفسها في الحُلم، لأنّ الاضطرابات الّتي لا يشعر بها الإنسان في حالة اليقظة تظهر بوُضوحٍ أكثر خلال فترة النّوم وتعبّر عن نفسها بصور الحلم، لذا كان "أبقراط" يوظّف أحلام زبائنه في تشخيص حالاتهم المرضيّة[84].

إنّ نهج "أبقراط" في تعامله مع الأحلام أو بالأحرى أحلام مرضاه، يجعلنا نقرّ بشيءٍ من التّحفّظ أنّه قد سبق "فرويد" في معالجته للاضطرابات والأمراض النّفسيّة عبر تفكيك الرّموز الحُلميّة، ولكن ربّما كان إيمان "أبقراط" بأنّ الحلم معطى إلهيّ هو ما ميّزه عن "فرويد"، فقد كان عامّة الشّعب اليونانيّ يعتبرون الرُّؤيا نوعًا من الوحي الإلهيّ، خاصّة فيما يتعلّق بأمور الطبّ، فالكاهن والطّبيب كِلاهما كان يهتدي إلى الدّواء الشّافي عن طريق الإلهام والحُلم، فقد اشتهرت معابد وهياكل كثيرة في بلاد اليونانيّين، كان النّاس يرتادونها وينامون فيها ليحصلوا على الشِّفاء من الأمراض الصّعبة من خلال تفسير أحلامهم الّتي يرونها في تلك المعابد[85].

ولم تكن هذه الطّريقة في التّعامل مع الحُلم دأب "أبقراط" فقط، فقد سار عليها غيره من أطبّاء اليونان، مثل الطّبيب "جالينوس"[86] الذي ذكر عنه "ابن أبي أصيبعة" في "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" أنّه قد توصّل إلى اكتشاف العِلاج بالفصد من خلال أمر إلهيّ تكرّر له في المنام مرّتين[87].

وكما اهتمّ أطبّاء اليونان بالرُّؤى والأحلام، فقد اهتمّ بها كذلك فلاسفتهم، وبدءًا بمُعلّمهم الأوّل "سُقراط "Socrate"[88]، فقد كان من بين الفلاسفة الذّين سلّموا بالتّكهّن بالغيب وبالإرشاد والإلهام الإلهيّ

- Harrap's, Shorter : Dictionnaire Anglais-Français, Français-Anglais, op, cit,, p272

82 – English-Arabic Dictionary of the three great religions: Judaism-Christianity-Islam, p.45.

83 – أبقراط (460–370 ق.م) طبيب يونانيّ يُعرف بأبي الطبّ، يظنّ أنّه وُلد بجزيرة كوس ودرس بأثينا، فصل الطبّ عن الخُرافات والغيبيّات وأقامه على أساس علميّ، تُنسب إليه بعض الكُتب كـ"الحكم الأبقراطيّة" و"الأهوية والأمواه والأماكن"، نقل العرب كُتبه إلى العربيّة وشرحوها، له قَسَمٌ مشهور في العالم أجمع يؤدّيه الأطبّاء إلى الآن ويشمل آداب المهنة والتزامات الطّبيب.(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 14/1. وانظر ترجمته أيضا في : عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، لابن أبي أصيبعة، ص 43 وما بعدها).

84 – اُنظر: بونغراكز و سانتنز: الأحلام عبر العصور (معجم تفسير الأحلام)، ص 62–63.

85 – اُنظر: قمري: الحُلم والرُّؤيا في الفلسفة والعلم والدّين، ص 62–63.

86 – جالينوس (130–200ق.م): طبيب وكاتب يونانيّ، ولد في برجامون، أتمّ دراسته في اليونان ثمّ أقتم بروما حيث ذاع صيته، يُنسب إليه خمسمائة مؤلّف في الطبّ والفلسفة.(غربال: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1125/3. وانظر أيضا ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ص 109 وما بعدها).

87 – انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ص 19.

88 – سُقراط (469–399ق.م): فيلسوف يونانيّ، من أثينا، لم يترك أثرا مكتوباً، ولكن سجّل حياته وتعاليمه تلميذه أفلاطون في مُحاوراته واكسينوفون في مذكّراته، ومحور فلسفته أنّ العلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد، سُجِن في آخر حياته وحكم عليم بالموت لاتّهامه بإفساد عقائد الشّبان. (طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص 365 وما بعدها. وانظر أيضا: الموسوعة العربية العالميّة، 348–347/12. وكذلك: الموسوعة العربيّة الميسّرة1854/4).

للبشر، يقول "توفيق الطّويل" في وصفه لـــ"سُقراط": "لقد كان سقراط فيلسوفًا عميق الشّعور الدّينيّ، وكان كثيرًا ما يعتقد بأنّه يعمل ويتكلّم تحت تأثير إلهام إلهيّ، وكان على يقين من أنّ إلهًا خيّرًا يُعين النّاس (...) ويحضّ أصدقاءه على استشارة الوحي، ولا سيَما وحي دلفي"[89].

إنّ إيمان "سُقراط" بالإلهام والوحي الإلهيّ وتسليمه بالتّكهّن بالغيب يعني ولو ضمنيًّا تصديقه بالرُّؤى والأحلام، إذْ كانت من أشهر وسائل التّنبّؤ عند قُدماء فلاسفة اليونان من أمثال "زينو" "Zeno" وفيثاغورس" "Phythagoras" وديموقريطس" "Démocritus" وكلّ من "دكيارخوس" "Dicaearchus" و"كراتيبوس" "Cratipus" من المشائين اللّذَيْن سلّما بالتّنبّؤ بالغيب عن طريق الأحلام والمسّ، ورفضا التّسليم بسائر أنواع التّكهّن الأخرى"[90].

أمّا عن "أفلاطون" "Platon"[91] تلميذ "سُقراط" فإنّ رأيه في الأحلام يبدو بعيدًا كلّ البُعد عن رأي أستاذه، بل لا جرم إنْ قلنا أنّ نظريّته في الأحلام كانت ملهمة لـــــ "فرويد" في بناء نظريّته في الأحلام.

فلئن ذهب أستاذه "سُقراط" إلى اعتبار الأحلام صوت الضّمير وإلى التّصديق بإلهيّة مصدرها، فإنّ الرّؤى والأحلام بالنّسبة لـــ"أفلاطون" ليست إلاّ تعبيرًا عن طبيعتنا الغريزيّة، فهو يرى أنّ الأحلام في صميمها تعبير عن الشّيء الهمجيّ والشّيء المُخيف الرّهيب فينا" [92].

ولكي يكون توصيفنا لموقف "أفلاطون" أمينًا لا بدّ أن نُشير إلى أنّه ميّز بين الرُّؤى والأحلام الصّادقة وغيرها، فجعل مقبوليّة الرّؤيا وصدقيّتها مرتبطة بحالة النّائم، يقول "شيشرون" ناقلاً كلام "أفلاطون، في هذا : "عندما يستسلم المرء للنّوم وتكون القوّة النّاطقة من نفسه في تراخ وبلادة وتكون القوّة الشّهويّة الّتي تنطوي على الفظاظة والوحشيّة قد أفرطت في التهام الشّراب وازدراد الطّعام (...) في مثل هذه الحال تكون كلّ رُؤيا تتمثّل أمام الخاطر خلوا من المنطق، فيحلم النّائم بأنّه يزني بأمّه أو يفسق في رجل أو إله (...) أمّا إذا استسلم للنّوم امرؤ دأبه الاعتدال والقناعة في حياته وطعامه وقوّته المفكّرة النّاطقة نزاعة إلى أمر مشروع (...) عندما يحدث هذا كلّه تضيء القوّة الناطقة المفكّرة وتصبح مهيأة لتلقّي الرُّؤى قادرة عليها، وعندئذ تكون أحلامه هادئة صادقة موثوقًا بها" [93].هذا إذن رأي "أفلاطون" في الرُّؤى والأحلام، فهو ينزّه من النّاس من بلغوا مراحل النّضج والحكمة عن الطّبيعة اللاّعقلانيّة لمضمون الرُّؤيا أو الحلم.

ونأتي الآن إلى "أرسطو" "Aristote"[94] المُعلّم الأوّل عند فلاسفة المسلمين الّذي يرى أنّ النّوم هو فقد للإحساس وأنّ الحلم صورة ناتجة عن المخيّلة الّتي تعظم قوّتها أثناء النّوم على إثر تخلّصها من أعمال اليقظة، فالأحلام عنده هي إحساسات سابقة أو هي بعبارة أدقّ صور ذهنيّة لهذه الإحساسات الّتي تشكّلها المخيّلة بأشكال مختلفة، إلاّ أنّه يقرّ بتأثير الإحساسات الخارجيّة في جسم النّائم أثناء النّوم كتعرّض جسمه للحرارة أو سماع أذنه لصوت ما، فإنّ ذلك يؤثّر حسب "أرسطو" في صياغة الصّورة الحلميّة عند النّائم.

وإلى جانب الإحساسات يرى "أرسطو" أنّ للميول والعواطف أثرًا ودخلاً كبيرًا في الأحلام والرُّؤى، فالخائف برأيه يرى في منامه عوامل خوفه ويعمل على اتّقائها، والمحبّ يحلم بما يتّفق وحبّه، لذلك فإنّه (أرسطو) يجد مبرّرًا في استعانة الأطبّاء على معالجة مرضاهم وتشخيص دائهم بسؤالهم عن بعض أحلامهم[95].

ورغم بيان "أرسطو" لحقيقة الأحلام وأسبابها وجواز تعبيرها وتأويلها، إلاّ أنّه لم يتقبّل البتّة الرّأي الشّائع عند أسلافه، والقائل بأنّ

89 – انظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 40 الهامش 4 [بتصرّف].

90 – انظر: شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 42-43.

91 – أفلاطون (427-347 ق.م): فيلسوف يونانيّ تتلمذ على سقراط فتأثر به وبالفيثاغوريّين في تعاليمهم، أثّرت فلسفته في مسار الحضارة الغربيّة، كانت مؤلّفاته عبارة عن محاورات، وقد نظّر أفلاطون للمدينة الفاضلة الّتي جعل الفلاسفة يحكمون جمهوريّتها.(الموسوعة العربيّة العالمية، 2/400-402. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1/342-343. معجم الفلاسفة، ص71 وما بعدها).

92 – أُنظر: فروم: الحكايات والأساطير والأحلام، ص 92.

93 – شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ص 76-77 [بتصرّف].

94 – أرسطو (384-322 قم.م): فليسوف يونانيّ تتلمذ على أفلاطون، وعلّم القائد اليونانيّ الإسكندر الأكبر، كان يحاضر ماشيا فسمّي هو وأتباعه بالمشّائين، ألّف الأورغانون في المنطق، له مؤلّفات في العلم الطّبيعيّ والأخلاق والسّياسة والخطابة والشّعر، كان له أثر في الفلاسفة الإسلاميّين فلقّبوه بالمعلّم الأوّل، وشرحوا فلسفته وأخذها عنهم الغرب. (الموسوعة العربيّة العالميّة، 1/506-507. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1/228. معجم الفلاسفة، ص 52 وما بعدها).

95 – أُنظر: مدكور: في الفلسفة الإسلاميّة، منهج وتطبيقه، ص 90-93.

الأحلام وحيٌ من الإله، فهو وإنْ اعتبر الأحلام علامات وأدلّة وعِللاً للحوادث، فإنّه لم ينسب إليها وظائف تنبّئيّة، ويعتبر أنّ مناسبتها للأحداث أحيانًا إنّما تحدث على نحو عرضيّ محض، أي من باب المُصادفة[96].

ولعلّ إنكار "أرسطو" لإلهيّة مصدر الأحلام هو ما دفع "فرويد" إلى الثّناء عليه، إذ يقول في كتابه "تفسير الأحلام": "ثمّ جاء "أرسطو" بتفسيره العلميّ، فكان أوّل من أرسى وجهة النّظر النّفسيّة في دراسة الأحلام، وكان المعلّم الأوّل حاسما في قوله أنّ الأحلام ليست رسائل ترد علينا من الآلهة"[97].

إذن وفق هذا التّرجيح الفرويديّ، يجوز لنا أن نقول أنّ الاعتقاد الرّاسخ عند قدماء فلاسفة اليونان قبل "أرسطو" –طبعًا إذا ما استثنينا "أفلاطون" الّذي يضع شروطًا لصِدقيّة الرُّؤيا أو الحلم – هو أنّ الأحلام إنّما هي رسائل كائنات إلهيّة فوق مستوى البشر، فصورها ترد على النّائم من عالم ما فوق الطّبيعة، وأنّ أوّل من قطع مع هذا الرّأي أو الاعتقاد هو "أرسطو" الّذي أثّر أيّما تأثير في الفلاسفة الإسلاميّين الأوائل.

لقد وجدت الأفكار الأرسطيّة في الرُّؤى والأحلام سبيلها إلى فكر فلاسفة المسلمين الأوائل، ومن بينهم "الكِندي"[98] الّذي ألّف رسالة في ماهية النّوم والرُّؤيا بعنوان: "رسالة في عِلّة النّوم والرُّؤيا وما يرمز به إلى النّفس"[99]. حاول فيها تعريف النّوم والرُّؤيا، مبيّنًا أنّ الخوض فيهما يقتضي علمًا ودرايةً بماهية النّفس، ومضمون طرحه في المسألة أنّ النّوم هو ترك النّفس استعمال الحواس جميعا، فهو عنده عبارة عن نوع من التّفكير العميق الّذي يستغرق فيه الفكر، فلا يستعمل شيئًا من الحواسّ البتّة، لأنّ استعمال النّفس للحواسّ يحول برأيه دون تمام الوضوح فيما يتمثّل في النّفس من صور الأشياء. فالرُّؤيا عند "الكِندي" هي كلّ ما وقع عليه الفكر من صور في النّفس بعد تركها لاستعمال الحواس"[100].

لذلك يرجع "الكِندي" –متأثّرًا في ذلك بـــ"أفلاطون" – اختلاف أنواع الأحلام والرُّؤيا إلى اختلاف أحوال النّفس ومدى تهيّئها واستعدادها لقبول آثار الأشياء، وهو إلى جانب ذلك يقرّ –كمعلّمه "أرسطو– بعمل الحسّ والقوّة العقليّة والمتخيّلة في المنام (الأحلام)، إلاّ أنّه يُخالفه في إنكاره الرُّؤيا الصّادقة[101].

إنّ هذا الطّرح لـــ"الكِندي" قد بدت آثاره في كتابات "الفارابي"[102] و"ابن سينا" "Avicenne"[103]. اللّذين تأثّرَا بآرائه في الحلم والرّؤيا، وإنْ خالفاه الرّأي في النّبوّة والوحي ومنبعهما، ويؤكّد كلّ منهما على صلة الأحلام بحالة الإنسان الصحّية وبمُحاكاة القوّة المُتخيّلة لأمزجة البدن رطبها ويابسها وحارّها وباردها، ويكون ذلك بتركيب المحسوسات الّتي تُحاكي هذه الأمزجة في المُخيّلة[104].

وإلى هذه الإحساسات الخارجيّة يضيف "ابن سينا" الإحساسات العضويّة الدّاخليّة، فيرى أنّ الأحلام النّاشئة عن هذه الإحساسات لها أهمّية طبّية كبرى، إذ تدلّ في الغالب على حالة الجسم العضويّة وما

96 – أُنظر: فروم: الحكايات والأساطير والأحلام، ص 92.

97 – فرويد: تفسير الأحلام، ص 12–13.

98 – الكِندي (801–865م): هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، نسبة إلى كِندة من بني كهلان وبلادهم باليمن، فيلسوف العرب وأوّل من فلسف منهم، أخذ بمذهب المشّائين وتأثّر بفلسفة أرسطو، له كُتب ورسائل كثيرة في علوم الرّياضيات والطّبيعيّات والفلك والطبّ والجغرافيا والموسيقى وعلم الكلام والفلسفة.
(انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطّباء، ص 285 وما بعدها، والموسوعة العربيّة الميسّرة، 2741/5).

99 – ذكر هذه الرّسالة ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطّباء، ص 292.

100 – أُنظر: قمري: الحلم والرّؤيا في الفلسفة والعلم والدّين 82–83.

101 – المرجع نفسه، 86–87

102 – الفارابي (870–950م) هو أبو نصر محمّد الفارابي، سمّي بالفارابي نسبة إلى فاراب ببلاد التّرك، درس على يوحنّا بن حيلان، وصحب متّى بن يونس، وهو من كبار مترجمي الفلسفة اليونانيّة، شرح كتب أرسطو المنطقيّة والطبيعيّة والأخلاقيّة، فلُقّب بالمعلم الثّاني، من مؤلّفاته: "إحصاء العلوم" و"رسالة في معاني العقل" و"وآراء أهل المدينة الفاضلة".(الموسوعة العربية العالميّة، 178/17–179. معجم الفلاسفة، ص 449 وما بعدها. الموسوعة العربية الميسّرة، 2344/5–2345).

103 – ابن سينا (980–1036م) هو أبو علي الحسين عبدالله بن سينا، فيلسوف وطبيب يلقّب بالشّيخ الرّئيس، ولد في أفشنة قرب بخارى، درس العلوم الشرعيّة والعقليّة وأصبح حجّة في الطبّ والرّياضيّات والفلك والفلسفة ولمّا يبلغ العشرين اشتغل بالتّعليم وبالسياسة وتدبير شؤون الملك، توفّي ودُفن في همذان، تجاوزت مصنّفاته المئتين بين كتب ورسائل أشهرها كتاب "الشّفاء".(معجم الفلاسفة، ص 26 وما بعدها. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 34/1).

104 – يبدو أنّ الفيلسوفين قد تأثّرا في رأيهما هذا بما ذهب إليه أرسطو من تأثير الإحساسات الخارجيّة في صياغة الصورة الحلميّة عند النّائم.

يحدث فيه من تغيّرات يُمكن أن يُستدلّ منها على حالات مرضيّة خاصّة، أو على ابتداء حالات مرضيّة ستقع في المُستقبل[105]، وهو رأي يذكّرنا بما ذهب إليه "أبقراط" طبيب اليونان من قبل.

إنّ جملة هذه الآراء الفلسفيّة[106] في الرُّؤى والأحلام، تؤكّد أنّ الفكر الإنسانيّ ما فتر يومًا عن البحث في طبيعتها وحقيقتها، وهو جهد دام واتّصل حتّى في العصر الحديث لتلج الرُّؤى والأحلام مختبرات علم النّفس التّحليليّ كموضوع بحث سيكولوجيّ.

المسألة الثّالثة: المُقاربة السّيكولوجيّة[107]

لئن سادت النّزعة الرّوحيّة في تفسير الرُّؤى والأحلام عقول النّاس في العصور القديمة، ففرّقوا بين النّوم واليقظة، وأقرّوا بثُنائيّة الرّوح والمادّة –الّتي تحكم الكائن البشريّ والكون بأسره في رأيهم– وجعلوا الأحلام وحيًا إلهيًّا، فإنّ علماء ومُفكّري العصر الحديث انطلقوا من التّراث الأرسطيّ في تحليل ظاهرة الحلم وبنوا على أساسه نظريّات جديدة في تفسير هذه الظّاهرة.

ومن العُلماء الّذين سطع نَجمهم في تفسير الأحلام تفسيراً علميًّا في العصر الحديث، الطّبيب النِّمساوي " سيجموند فرويد " Sigmund Freud"[108]، مُؤسّس مدرسة التّحليل النّفسيّ، وهو وإنْ كان أشهر منْ اهتمّ بالأحلام في العصر الحديث، فإنّه بدوره قد انطلق من آراء من سبقه من علماء النّفس في المسألة، وهي آراء لا يُمكن تجاوزها، بل لا بدّ من بيانها حتّى تتوضّح لنا المقاربة الفرويديّة في تفسير الأحلام فيما بعد.

إنّ أوّل ما اهتمّ به علماء النّفس قبل "فرويد" هو علاقة الحلم باليقظة، فقد ذهب "هافنر" إلى أنّ الحلم ليسإلاّ استئنافًا لحياة اليقظة على نحو ما، فبرأيه إذا تأمّلنا أحلامنا وجدنا باستمرار صلة بينها وبين ما كان يشغل تفكيرنا من أمور قبل النّوم، مهما خفيت تلك الصّلة، وسايره في ذلك "فيجانت" الّذي بيّن أنّ الحلم لا يبتعد بنا عن الواقع، بل على العكس من ذلك يعود بنا في حالة النّوم إلى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة.

غير أنّ "بورداخ" عالم وظائف الأعضاء لا يرى صوابيّة ما ذهبا إليه، فالحلم في تصوّره ليس تكريرًا لِما يمرّ بنا في اليقظة من الخير أو الشرّ أو المُتعة، بل العكس هو الصّحيح، إذ يُرجّح أنّ الحلم إنّما يرمي إلى تفريغ عقل النّائم من كلّ هذه الانطباعات كي يوفّر له الرّاحة من أعباء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشرّ، ورأيه هذا لقيَ استحساناً كبيرًا من "فرويد" إذ يصفه بالدّقة والفرادة[109].

وإلى جانب هذا الأمر، اهتمّ علماء النّفس بخصائص الذّاكرة الحُلميّة في الحلم الّذي تستعمل فيه عناصر لم تعد ذاكرة اليقظة قادرة على استعادتها، والأمثلة الّتي يذكرها "فرويد" لعلماء نفس سبقوه في هذا الإطار من أمثال: "موري""Maury"، و"دلبوف""Delbove"، و"يسن""Yesen"، و"هارفي دو سان دونيس "-Hervey De Saint Denis"" كثيرة[110]، فقد اعتبروا أنّ الأحلام قد تكون نبشًا في الذّكريات المترسّبة في اللاّوعي البشريّ.

---

105 – المرجع السّابق، ص 89 و94

106 – في الواقع لا تمثّل هذه الآراء إلاّ نماذج من الطّروحات الفلسفيّة في موضوع الرّؤى والأحلام، إذ ثمّة آراء وطروحات كثيرة يضيق بحثنا عن ذكرها، وهي آراء تأثّرت في أغلبها بالتّراث اليونانيّ في هذا الباب، ولكن ما يستحقّ الذّكر في هذا السّياق هو أنّ طرح فلاسفة الصّوفيّة في مسألة الرّؤى والأحلام يبقى طرحًا فريدًا في بابه، فالصّوفيّة قد أقرّوا بإلهيّة مصدر الرّؤى وأضفوا عليها هالة من القداسة وجعلوها يُنبوع المعرفة والحكمة الّذي يكرعون منه في إسراءاتهم الرّوحيّة البرزخيّة وكُتبهم تؤكّد عنايتهم بها وبمضامينها وبتعبيراتها.

107 – لفظ "السيكولوجيّة" هُنا نسبة إلى السّيكولوجيا أو البسيكولوجيا "Psychologie" أو علم النّفس، وهو علم يقوم على منهج أكاديميّ يشتمل الدّراسة العلميّة لوظائف العقل البشريّ وسلوك الإنسان من أفعالٍ وانفعالات قصد تحديد أو ضبط القانون الذي يسير وفقه هذا السلوك.

(انظر: Encyclopaedia Universalis, 19/224-239).(وانظر أيضا: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 2275/4–2276).(وانظر كذلك: "Le nouveau petit Robert de la langue française" p 2063).

108 – سيجموند فرويد: طبيب نمساوي يهوديّ، يُعدّ مؤسّس علم النّفس التّحليلي، ولد في 6 ماي 1856م، بفرايبورغ، وتوفّي في 23 سبتمبر 1939م، بلندن، عمل محاضرا في الأمراض العصبيّة بجامعة فيينا، وله بحوث كثيرة في ذلك، كانت معظم حياته في فيينا، وإبّان الحكم النّازي لبلاده هرب إلى لندن ليقضي فيها بقية حياته، من أشهر كُتبه "كتاب تفسير الأحلام".(Dictionnaire des Philosophes, 1/972.) (وانظر أيضا: الموسوعة العربيّة العالميّة، 355/17–356. وكذلك: الموسوعة العربيّة الميسّرة، 2401/5).

109 – أُنظر: فرويد: تفسير الأحلام، ص 14–15.

110 – راجعها في كتابه: تفسير الأحلام، انظر مثلاً ص 16–19.

أمّا "هنري برغسون"[111] الّذي عاصر "فرويد" فقد أيّد ما يُعرف بنظريّة "الحافز الحِسّي"، ومفادها أنّ الحلم ينشأ في النّائم من جرّاء إحساس مادّي يطرأ عليه، وهذا الإحساس قد ينبعث من داخل البدن أو من خارجه، فالحواسّ عنده لا تتعطّل عن أداء وظيفتها أثناء النّوم، وكلّ أثر يقع عليها يُؤدّي بالنّائم إلى رؤية حلم مستمدّ منه، وهذه النّظريّة نقدها "فرويد" نقدًا شديدًا، فهو يرى أنّ الحافز الحسّي قد يُساعد على نشوء الأحلام، ولكنّه لا يُعيّن مضمونها ولا يجدي في تفسير مغزاها[112].

وعموماً، فإنّ "فرويد" يلخّص مصادر الأحلام عند من سبقوه في أربعة مصادر[113]، هي:

- إشارات حسّية تأتي من خارج الجِسم – إشارات حسّية تأتي من الجسم ذاته
- إشارات عضويّة باطنة– إشارات نفسيّة خالصة.

إنّ مُختلف الآراء التّحليليّة النّفسيّة للحلم قبل زمن "فرويد" تؤكّد أنّ تناول الحلم كظاهرة نفسيّة لم يكن سبقًا حصريًّا لـــ"فرويد"، وإنّما سبقه إلى ذلك كثير من علماء النّفس الّذين نقد أغلب نظريّاتهم في كتابه "تفسير الأحلام"ليطرح نظريّته الّتي لقِيَتْ من الشُّهرة والانتشار ما لم تلقه غيرها من النّظريات.

لا تخرج نظريّة "فرويد" في الرُّؤى والأحلام عن نظريّته العامّة في التّحليل النّفسيّ البشريّ، والّتي يُفسّر فيها جميع أنواع هذا السُّلوك تفسيرًا جنسيًّا، انطلاقًا من إيمانه بوُجود ميول ورغبات كامنة في أعماق النّفس، لا يشعر بها الإنسان، ولكنّها تؤثّر في حياته، لذلك سمّاها اللاّشعور وحصرها في رغبة الجنس.

ويرى "فرويد" أنّ الأحلام والرُّؤى لا تتنبّأ بالمُستقبل، وإنّما تكشف جميعها عن صراعاتٍ جنسيّةٍ مكبوتةٍ، فهي عنده بعث للرّغبات الحرام المدفونة في النّفس من أيّام الطّفولة، وقضاء للحاجات الّتي حرمنا منها بحكم الأخلاق والدّين والآداب الاجتماعيّة، وتحقيقٌ لِما لا يُمكننا تحقيقه في الواقع وما لا يليق أن نفكّر فيه في يقظتنا ونحن بكامل وعينا [114].

فالاعتقاد في القدرة التّنبّوئيّة للأحلام عند "فرويد"، اعتقاد باطل، يقول في ذلك: " أمّا أنّ الأحلام كوّة نرى منها لمحة من الغيب والمُستقبل، فذلك باطل، لأنّ الحلم إنّما يصوّر الماضي ويصدر عنه ويعبّر عن مكنوناته المطويّة والمنسيّة، وكلّ ما للحُلُم من صلة بالمستقبل أنّه يصوّر لنا رغباتنا الّتي كبتها الماضي أو كبحها، وقد تحقّقت على صعيد الحاضر أو في فترة من فترات المُستقبل"[115].

لقد وجد "فرويد" في تأويل الأحلام أسهل طريق إلى معرفة اللاّشعور وأوثق ركيزة وآمن أساس لها، فدِراسة الأحلام في تصوّره تؤكّد أكثر من أيّ شيء آخر قيمة التّحليل النّفسي[116]، لذلك نراه قد تناول الحُلم كظاهرة "نفسيّة"، وربطه بالنّوم كظاهرة "فيزيولوجيّة"، ليقرّ بأنّ التّحقيق الوهميّ لرغبات لاعقلانيّة في الحُلم، إنّما وظيفته الأساسيّة الحِفاظ على النّوم[117].

إنّ نظريّة "فرويد" في الرُّؤى والأحلام تُسمّى بنظريّة "الحافز النّفسيّ" في مقابل نظريّة "الحافز الحِسّي" الّتي ذكرناها من قبل، وهي نظريّة تجعل من تحقيق الرّغبة أساسًا تقوم عليه الأحلام[118]. لذلك حاول "فرويد" تحليل جميع الظّواهر الغريبة الّتي يراها المرء في منامه بهذا الأساس، وهو أساس وجد فيه "فرويد" عاملاً مساعدًا في فحص الأمراض النّفسيّة الّتي يعانيها بعض الأشخاص، فالمرض النّفسيّ في تصوّره، قد ينتج أحياناً عن رغبة مكبوتة في أعماق النّفس، لذلك فهـــــو –فرويد– غالبًا ما يلجأ إلى تحليل أحلام المريض وفكّ رموزها[119].

---

111 – هنري برغسون (1859–1941م) فيلسوف فرنسيّ، تولّى منذ سنة 1900م التّدريس بالمعهد الفرنسيّ، نال جائزة نوبل في الآداب سنة 1927م، اهتمّ في فلسفته بالمادّة والحياة والزّمن، من أبرز مؤلّفاته "الزّمن والإرادة الحرّة"،= =و"المادّة والذّاكرة" و"التّطوّر الخلاّق"، وقد تُرجم بعضها إلى العربيّة. (معجم الفلاسفة، ص 162 وما بعدها. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 666/2).

112 – اُنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 68–69.

113 – انظر كتابه: تفسير الأحلام، ص 19.

114 – اُنظر: محمود: الأحلام، ص 22. و(الحكايات والأساطير والأحلام لإريش فروم، ص 48).

115 – فرويد: تفسير الأحلام، ص 192.

116 – انظر: فرويد: خمسة دروس في التّحليل النّفسيّ، ص 37–38.

117 – اُنظر: فروم: الحكايات والأساطير والأحلام، ص 49.

118 – انظر: تفسير الأحلام لفرويد، ص 38 وما بعدها.

(وانظر أيضا: أصول علم النّفس لأحمد عزّت راجح، ص 124–125).

119 – اُنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 74.

ولو أردنا أن نوجز القول في نظريّة الرُّؤى والأحلام عند "فرويد"، لقُلنا أنّه ينكر الرُّؤيا الصّادقة ولا يرى في الرُّؤى والأحلام تنبّؤًا بالمستقبل. فالأحلام عنده ليست إلاّ وسيلة لإشباع الرّغبات الّتي لم يستطع الإنسان أن يشبعها أثناء اليقظة.

والعَيْبُ الأوّل لهذه النّظريّة هو أنّها تدور في دائرة مُغلقة هي دائرة الجِنس، باعتبارها الدّائرة الوحيدة الّتي تحتلّها الدّوافع الهامّة المقلقة للإنسان، وهو أمر غير صحيح. ففي هذا تحقير للإنسان، فـــ "فرويد" يصوّره على أنّه مجموعة من الغرائز والشّهوات، وربّما كان متأثّرًا في ذلك بنظرة "داروين" الحيوانيّة المادّية للإنسان، على أنّ الإنسان، كما هو كائن شهويّ غريزيّ، فهو أيضًا كائن روحيّ، وهو أمر قد أغفله أو تغافل عنه "فرويد".

ثمّ إنّ من عيوب نظريّته أيضًا أنّه حصر بواعث الأحلام في الطّفولة وحدها، وهو حصر فيه كثير من التّعسّف، فهموم الطّفولة ليست وحدها الهموم المؤرّقة، فهموم الإنسان ومُشكلاته في مرحلة النّضج هي أكثر عُمقًا وأكثر إثارة للقلق والحيرة والتّساؤل والخيال والحلم من مرحلة الطّفولة.

إنّ هذه العُيوب وغيرها في نظريّة "فرويد" جعلت كثيرًا من تلاميذه ومُعاصريه يتعهّدونها بالإضافة والتّعديل، وإنْ وافقوه في السّياق العامّ لها. ومن تلاميذه الّذين شقّوا عصا طاعته تلميذه "يونغ"[120]. فلئن ذهب أستاذه إلى اعتبار رغبات وشهوات الإنسان دافعًا للحُلم، فإنّه يعتقد أنّ هناك سببًا آخر للحُلم وطابعه السّحريّ الغامض، فالنّوم برأيه يغلق الباب على الواقع، ويفتح في نفس الوقت الباب الموصِل إلى عالم الغيب، عالم الأسرار والغوامض وما فوق الواقع، فـــ "يونغ" يعتقد أنّ الّذي يتحدّث في الأحلام هو صوت الغيب لا صوت العقل الباطن، فانفصال النّفس عن الواقع يحقّق في تصوّره اتّصالها بعالم الغيب وحدوث الإلهام، وعلى هذا الأساس فإنّ "يونغ يختلف كثيرًا عن أستاذه، فبينما يعتقد الأستاذ أنّ الحُلم عودة إلى الماضي وإلى الطّفولة بهذياناتها، فإنّ تلميذه يرى في الحلم إشارة إلى المستقبل وإلهامًا من الملإ الأعلى[121].

ويُشارك "إريش فروم"[122]. "يونغ" في هذا الاعتقاد فهو لا يحصر الأحلام في نوع واحد مثلما فعل "فرويد" فلا يلغي احتمال حدوث الإلهام واحتمال حدوث الاتّصال الغيبيّ في الأحلام، ولكنّه يعتبر ذلك حالة نادرة[123].

وإلى ذلك ذهب أيضًا تلميذ "فرويد" "ألفرد أدلر"[124] الّذي وإنْ استعمل طريقة أستاذه في تحليل الأحلام، فإنّه لم يجعل الحلم تحقيقًا للرّغبات القديمة فقط، وإنّما اعتبره كذلك وسيلة لعِلاج مشاكل اليقظة الّتي لم تسوَّ بعد، وجعله متّصلاً بالمستقبل أكثر من اتّصاله بالماضي[125].

إنّ جُملة الآراء والنّظريات السّيكولوجيّة في تحليل ظاهرة الحُلم تؤكّد أنّها ظاهرة حيّرت العقل البشريّ على مرّ عصوره، فتعهّدها بالبحث والتّحليل، ولم يكن هذا البحث والتّحليل حِكرًا على فئة من العلماء دون سواهم، فقد كان لجميعهم قول ونظر في المسألة، فكما اهتمّ بها علماء النّفس، فإنّها كانت حاضرة أيضًا في مختلف الحقول البحثيّة الأخرى كحقليْ الأنثروبولوجيا والسّوسيولوجيا بفروعهما.

المسألة الرّابعة: المُقاربة الأنثروبوسوسيولوجيّة[126]

120 – كارل جوستاف يونغ (1875–1961م): فيلسوف سويسري وطبيب أمراض عقليّة، طوّر علم النّفس التّحليليّ بعد انفصاله عن فرويد في 1913م، اهتمّ باللاّشعور الفرديّ والجماعيّ وبدراسة العُقد النّفسيّة وأنماط الشّخصيّة، نشرت مذكراته في 1963م.
(الموسوعة العربيّة العالميّة، 414/27–415. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 3680/7).

121 – أُنظر: فروم: الحكايات والأساطير والأحلام، ص 76 وما بعدها.
(وانظر أيضا: الأحلام لمصطفى محمود، ص 32–33).

122 – إريش فروم (1900–1970م): محلّل نفسيّ اجتماعيّ، ألمانيّ المولد، ولد بفرانكفورت، هاجر في 1933 إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة ليحاضر في معهد التّحليل النّفسيّ في شيكاغو، ثمّ أصبح مواطنًا أمريكيًّا في 1940م، طبّق أفكار علم الاجتماع على التّحليل النّفسانيّ. من مؤلّفاته "المجتمع العاقل" 1955م، و"فنّ الحب" 1956م، و"قلب الرّجل" 1964م. (الموسوعة العربيّة العالميّة 354/17).

123 – أُنظر: محمود: الأحلام، ص 32–33.

124 – ألفرد إدلر (1870–1937م): طبيب عقليّ نمساويّ، يُعدّ مؤسّس علم النّفس الفرديّ، عارض التّحليل النّفسيّ الفرويديّ في تضخيمه للجنس، من مؤلّفاته: "علم النّفس الفرديّ علماً وعملاً و"الجبلّة العصابيّة" و"فهم الطبيعة البشريّة". (الموسوعة العربيّة العالميّة، 406/1، الموسوعة العربيّة الميسّرة، 198/1).

125 – أُنظر: قمري: الحُلم والرُّؤيا في الفلسفة والعلم والدّين، ص 161.

126 – آثرنا أن نعنون لهذه المقاربة بهذه الصّيغة نظرًا للتّداخل الكبير بين علمي الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، خاصّة وأنّنا سنعرض لنظريتيْن في الرُّؤى والأحلام وأهميّتهما عند البدائيّين، أولاهما لأنثروبولوجيّ مرموق هو Edward Burnett Taylor. وثانيتهما لعالم الاجتماع الأنجليزيّ Herbert Spencer.

قبل بيان مضمون هذه المُقاربة، لا بدّ من بيان معنى كلمة "أنثروبولوجيا"، فـــ"الأنثروبولوجيا" هي علم الإنسان، أي العلم الّذي يُعنى بدراسة النّوع الإنسانيّ وكلّ الظّاهرات من حيث تعلّقها بالإنسان، كما يدرس الثّقافة من جوانبها المختلفة فيركّز على المُعتقدات والعادات والتّقاليد، وكذلك مُخترعات الشّعوب البِدائيّة وأدواتها وأجهزتها وأسلحتها وطرز المساكن وغيرها، أي بالإجمال ما يُمكن التّعبير عنه بالنّتاج المادّي والرُّوحيّ للشّعوب البدائيّة. ولعلم "الأنثروبولوجيا" أربعة أقسامٍ، هي:- الأنثروبولوجيا الطّبيعيّة، – الأنثروبولوجيا الحضاريّة أو الثّقافيّة، – الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة، – الأنثروبولوجيا التّطبيقيّة.

وعن علاقته بالعلوم الأخرى، فهو وإنْ كان يشترك معها في دراسة الإنسان، فإنّ ما يُميّزه عنها هو منهجه الكلّيّ Holistic Method، إذ يدرس المجتمع ككلّ في عقائده وشعائره واقتصاده وسياسته وغير ذلك كما أسلفنا، بالإضافة إلى اعتماده للبحث الحقليّ أو الميدانيّ Field Research إلى جانب اختيار أصحاب هذا العلم لنوعيّة معيّنة من النّماذج المُجتمعيّة، وهو المجتمع البِدائيّ Primitive Society.

ولكن ربّما من الواجب الإشارة إلى ذلك التّداخل الكبير بين علمي الاجتماع و"الأنثروبولوجيا"، فكِلاهما يدرس البناء الاجتماعيّ والوظائف الاجتماعيّة، لذلك غالبًا ما يوصف علم "الأنثروبولوجيا" بأنّه فرع من فروع علم الاجتماع، وفي الحقيقة هذا الحُكم يبقى نِسبيًّا، لأنّ علم الاجتماع يدرس المُشكلات الاجتماعيّة في هذا المُجتمع أو ذاك من المُجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المُجتمعات البدائيّة أو المنقرضة، بينما تركّز "الأنثروبولوجيا" في دراساتها على المجتمعات البدائيّة (الأولية)، وأيضًا المجتمعات المتحضّرة (المعاصرة)، ومع ذلك فالصِّلات وشيجة بين العِلمَيْن[127].

ونأتي إلى مضمون هذه المُقاربة في مُعالجتها لمسألة الرُّؤى والأحلام كظاهرة إنسانيّة، فقد كان أوّل اهتمام لـــلـــ"أنثروبولوجيا" النّاشئة بظاهرة الحلم في إطار محاولتها – في الثّلث الأخير من القرن 19م – بيان أصل ومنشأ المُعتقدات الدّينيّة عند البِدائيّين، فإنّ معاينتها للتّجربة الحلميّة عند البِدائيّين أكّدت اعتقاد الإنسان البدائيّ بوجود روح حالة في الجسم، وأنّ هذه الرّوح تُفارق الجسم خلال فترة نومه لتُسافر في عالم الموتى وتزور النّائمين في أحلامهم، وتحقّق رغباتهم، وتُجيب على أسئلتهم، وقد اعتقد البِدائيّون أيضًا في حلول هذه الرّوح –بعد موت الجسم– في الأجسام والنّباتات والحيوانات[128].

لذلك يرى "تايلور" "Edward Burnett Taylor"[129]. صاحب المذهب الرّوحيّ في تفسير أصل الدّين عند المجتمعات البدائيّة، أنّ الممارسة الدّينيّة عند الإنسان البدائيّ ارتبطت باعتقاده في وجود كائنات علويّة روحيّة تؤثّر وتتحكّم في أحداث العالم المادّي وفي حياة الإنسان في الدُّنيا والآخرة. وأنّ هذه الكائنات أو الأرواح تجري اتّصالاً بالنّاس عبر الحلم أو الرُّؤيا، الأمر الّذي جعله يُبدي احترامًا فائقًا لها، ومحاولة دؤوبة لاسترضائها خوفًا من هيْمنتها[130].

وعلى هذا الأساس، فإنّ فكرة الرّوح –حسب "تايلور"– نشأت عند الإنسان البدائيّ عمّا يراه في منامه، إذ دفعه ذلك إلى تخيّل وجود الرّوح في بدنه، ورسّخ في فكره إمكان تواصل روحه مع

---

127 – انظر في جملة ما قدمناه عن الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، المصادر والمراجع التّالية:

(إثنولوجيا أنثروبولوجيا، لفيليب لابورث تولرا، وجان بيار فارنييه، ص 47–55). وهو ترجمة لكتاب:

-Ethonlogie Anthropologie, Jean pierre warnier et Philippe Laburthe Tolra.

(الموسوعة العربيّة العالميّة، 3/243–249. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 462/1).

(وانظر أيضا: Encyclopaedia Universalis, 2/519-554/ et 21/210-229) وللاستزادة يمكن العودة إلى:

- Anthropologie sociale et culturelle.

وهو كتاب يعرض للتيّارات الكبرى في الفكر الأنثروبولوجيّ وبالأخصّ الأنثروبولوجيا ذات الخلفيّة البريطانيّة والأمريكيّة.

128 – Charuty Giordana : Destins anthropologiques du Rêve, p. 5-6.

129 – تايلور إدوارد بيرنت (1832–1917م): أنثروبولوجيّ أنجليزيّ، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجيا وتطوّر الاهتمام بها، كان أستاذا للأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد من 1896م إلى 1909م، من أهمّ كُتبه "الثقافة البدائيّة" في 1871م، و"الأنثروبولوجيا" في 1881م.(الموسوعة العربيّة العالميّة، 6/61–62، الموسوعة العربيّة الميسّرة، 2/920).

130 – انظر: الخريجي: علم الاجتماع الدّينيّ، ص 401.

أرواح الموتى والآلهة، ويُفهم من هذا أنّ الحلم هو الأساس الّذي يبني عليه مؤسّس المدرسة الأنثروبولوجيّة الأنجليزيّة نظريّته في أصل الدّين[131].

ولم يكن "تايلور" وحده من ذهب إلى هذا التّفسير أو هذه النّظريّة، فقد اعتقد "سبنسر" "Herbert Spencer"[132] أنّ البِدائيّين لم يفرّقوا بين الموت والنّوم، واعتبروا أنّ الرّوح تخرج في الحالتيْن من بدن صاحبها لتُفارقه مفارقة دائمة عند الموت، بينما ترجع إليه بعد اليقظة من حالة النّوم، ويرى "سبنسر" أنّ هذه العقيدة البدائيّة هي الّتي أدّت إلى ظهور الأديان المختلفة وتقديس الأرواح وعبادة الأسلاف الّتي هي برأيه أولى العبادات بين البشر[133].

إنّ نظريّتيْ[134] كلّ من "تايلور" و"سبنسر" في تفسير أصل الدّين عند البِدائيّين قد بيّنت ما كان للأحلام والرُّؤى من تأثير في تفكير البدائيّين ومُعتقداتهم ومُمارستهم الدّينيّة، فحتّى الإنسان البِدائيّ كان له نصيبه من الرُّؤى والأحلام، وكان له تعبيره الخاصّ لها، وتعامله الفريد والغريب معها.

المسألة الخامسة: المُقاربة الباراسيكولوجيّة[135]

يتكوّن مُصطلح "الباراسيكولوجيا" من مقطعيْن هما "البارا" و"السّيكولوجيا"، وتعني "البارا" قُرب أو بجانب أو ما وراء، و"السّيكولوجيا" تعني علم النّفس، فالمصطلح يعني ما يجاور علم النّفس، وهناك من يدعوه علم نفس الخوارق، وهناك من يدعوه ما وراء علم النّفس إلى غير ذلك من مُصطلحات تجتمع عند معنى ما يتجاوز علم النّفس من ظواهر خارقة وغريبة، وقد استخدمت هذه الكلمة في ألمانيا في القرن التّاسع عشر، ويُعتقد أنّ الفيلسوف النّفسانيّ "ماكس ديسوار" (1867–1947م) هو الّذي استخدم هذا المُصطلح لأوّل مرّة، وكان مُهتمًّا آنذاك بظواهر السِّحر والشّعوذة[136].

إنّ "الباراسيكولوجيا" علم يدرس الظّاهرات المستغلقة على الفهم والخارقة للطّبيعة والغريبة وغير المألوفة واللاّمعقولة أحيانًا، ويُحاول أن يجد لها التّفسير العلميّ والفكريّ المُناسب. ومن أشهر الظّواهر "الباراسيكولوجيّة" الّتي يُعالجها هذا العلم ظاهرة "التّخاطر"، وهي أكثر الظّواهر "الباراسيكولوجيّة" شيوعاً وأكثرها قبولاً وتعني "توارد الأفكار" "Telepathy"، أي انتقال الأفكار والصّور العقليّة بين شخصيْن من دون الاستعانة بأيّة حاسّة من الحواسّ الخمس، ويرى كثير من علماء "الباراسيكولوجيا" الرُّوس أنّ قابليّة "التّخاطر" والتّلقّي موجودة لدى كلّ فرد، ولكنّها تحدث بشكل أكبر بين الأفراد الّذين تربط بينهم علاقات عاطفيّة قويّة، كالأمّ وابنها والزّوج وزوجته[137].

والظّاهرة الثانية من الظّواهر "الباراسيكولوجيّة" هي "السّيكوكينزيا" "Psychokinesis" أو التّحريك الخارق للأشياء، ويُستخدم هذا المُصطلح للإشارة إلى القدرة الخارقة لبعض الأشخاص على التّأثير على جسم ما عن بُعد، دون استخدام أي جهد عضليّ أو نشاط للجهاز الحركيّ في الجسم، ويُشار إلى هذه الظّاهرة أيضًا بالعبارة الشّهيرة "العقل فوق المادّة" "Mind over matter" نظرًا للتّركيز العقليّ الّذي يبذله صاحب هذه القُدرة الخارقة[138].

أمّا الظّاهرة "الباراسيكولوجيّة" الثّالثة، فهي "التّنبّؤ بالمُستقبل" أي "الإدراك الحسيّ الفائق" "Extrasensory Perception" لما قد يكون

---

131 – Charuty Giordana : Destins anthropologiques du Rêve, p. 6(وانظر أيضا: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 32).

132 – هربرت سبنسر (1820–1903م): فيلسوف وسيسيولوجيّ أنجليزيّ، لُقّب بفيلسوف التّطوّر إذ حصر المعرفة في مبدإ التّطوّر، له كتب كثيرة منها: "أصول علم الاجتماع" و"أصول البيولوجيا" و"أصول علم النّفس".
(معجم الفلاسفة، ص 356 وما بعدها. الموسوعة العربيّة العالميّة، 12/140–141. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 4/1800–1801).

133 – أُنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 32.

134 – في الواقع هناك نظريّات كثيرة لأنثروبولوجيّين وسوسيولوجيّين، حاولت بيان مصدر الدّين لدى الشّعوب البدائيّة، وهي نظريّات تختلف كثيراً في مضامينها عن هاتين النّظريّتيْن، ولكن غرضنا من تناول هاتيْن النّظريتيْن بعينهما هو إشارتهما إلى قيمة الرُّؤى والأحلام في تشكيل مُعتقد الإنسان البِدائيّ الأوّل.

135 – سيكون اعتمادنا في جملة ما سنذكره من آراء علماء الباراسيكولوجيا في الرُّؤى والأحلام وخارقيّتها على كتابي الباحثين العراقيين: علي الوردي وسامي أحمد الموصلي، الأوّل في كتابه "الأحلام بين العلم والعقيدة،" والثّاني في كتابه "الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات".

136 – أُنظر: الموصلي: الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات، ص 32.
(وانظر أيضا: Le grand Larousse universel, Larousse, Paris 1994, 11/7816. و Encyclopaedia universalis, 17/479-480).

137 – أُنظر: أحمد الموصلي سامي: الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات، ص 42–46.

138 – المرجع نفسه، ص 59–60.

أو لِما هو كائن سواء أكان ذلك عبر ما يُصيب الإنسان من إحساس حدسيّ بنائبة من النّوائب أو أمر ما، أو عبر الحُلم بصيغه المضمونيّة المختلفة[139].

وفي الواقع هناك ظواهر خارقة كثيرة يعتني بها علم "الباراسيكولوجيا"، ولكنّنا اكتفينا بأشهرها وأكثرها تناولاً بالبحث، فرغم السّجال العلميّ[140] القائم بشأن علميّة هذا العلم من عدمها – وهو سِجال لن نخوض فيه– إلاّ أنّه يستمدّ مشروعيّته من غرابة الظّواهر الّتي يُحاول دراستها دراسة علميّة تقوم على التّجربة والإحصاء، ويستمدّها أيضًا من اعتراف كثير من الأوساط العلميّة في الغرب به كعلم يدرس الظّواهر البشريّة الخارقة، ويكفي أنْ نشير هُنا إلى عناية الرّوس والأمريكيّين والإسرائيليّين به من حيث توظيفه في الاستخدامات الأمنيّة والاستخباريّة إلى جانب توظيف كثير من أطبّاء العالم لهذا العلم في الاستخدامات الطبّية والاستشفاء من بعض الأمراض عبر القُدرات الباراسيكولوجيّة للمعالج[141].

إنّ كلّ ما يعنينا من هذا المُوجز المطوّل نسبيًّا –والّذي نراه ضروريًّا– لعلم الباراسيكولوجيا وظواهره، هو الطّرح الّذي يقدّمه هذا العلم في مسألة الرُّؤى والأحلام، فقد عمد أهل هذا العلم إلى وضع الأحلام على طاولة البحث التّجريبيّ والإحصائيّ وانطلقوا من الأبحاث الحديثة في دراسة "المادّة" والّتي أثبتت أنّ المُخّ البشريّ، كأيّ شيء في هذا الكون له أمواج "كهرطيسيّة"[142] خاصّة به، وأنّ هذه الأمواج قد تكون وسيلة لتفسير بعض "الأحلام الجليّة" " Lucid Dreaming"، الّتي قد يكون في مضمونها حدث مُؤلم أو نائبة أو مُصاب جلل سيُصيب شخصًا ما، فإنّ حلم امرأة بموت ابنها، وهي على بعد مئات الأميال منه واستيقاظها فزعة باكية، ثمّ إتيان الأخبار المؤيّدة لصحّة ما حلمت به، بات أمرًا غير مُستغرب عند علماء "الباراسيكولوجيا"، إذْ أصبح من المُمكن والمعقول تفسيره بأنّ هناك تجاوبًا "موجيًا" بين مخّ الولد ومخّ أمّه على الرّغم من بُعد المسافة بينهما[143].

وما يورده الباحثون من قصص عن تنبّوات الأحلام لأشخاص رأوْا أحلامًا تحقّقت فيما بعد لا يمكن حصره، ولكن سنُورد بعض الأمثلة الموضّحة، فمن ذلك مثلاً ما يُورده الباحث العراقيّ "سامي أحمد الموصليّ" في كتابه الّذي ذكرناه سالفًا، حيث يذكر حلما لسيّد يُدعى "أوكونور" كان من المُفترض أنْ يسافر على متن سفينة "تيتانيك" "Titanic" الشّهيرة هو وعائلته، لكنّه رأى في حلمه أنّ هذه السّفينة ستغرق وتكرّر حلمه هذا أكثر من مرّة، ممّا دفعه إلى إلغاء السّفر، ومن المعلوم أنّ هذه السّفينة قد غرقت فعلاً[144].

وهذه الحادثة تذكر بتفاصيلها في كثير من مصادر[145] البحوث في التّنبّؤ الحلميّ، وهي حادثة شهيرة لدى دارسي الظّواهر "البارسيكولوجيّة" من أمثال "هانز باندر" في ألمانيا و"راين" الّذي أنشأ أوّل مُختبر وقسم علميّ للـــــ"باراسيكولوجيا" في الولايات المتّحدة، بل نجد "راين" "Joseph Banks Rhine"(1895–1980م)، يورد في كتابه The Reach of the mind مثالاً آخر لحالات التّنبّؤ الحلميّ، وخُلاصته أنّ شابًّا رأى نفسه ذات ليلة في المنام في غرفة بيضاء مُضاءة بمصباح سقفيّ، وفي الغرفة جُثمان رجل ميّت ممدّد فوق منضدة، وقد ارتفعت ركبتا الميّت، وكان وجهه مهشّمًا لا يمكن

---

139 – المرجع نفسه، ص 71 وما بعدها.

140 – اعتبر كثير من العلماء أنّ ما يطلق عليه "الباراسيكولوجيا" ليس إلاّ مزيجًا من علوم طلسميّة هي السّحر والتّنجيم والعرافة والكهانة وغيرها من تراث الشّعوذات القديمة، وأنّه إن لم يكن كذلك فهو لا يعدو أن يكون مُحاكاة لها، ولكن الباحث العراقيّ سامي أحمد الموصلي يرى أنّ "الباراسيكولوجيا" غريبة عن كلّ هذه السّياقات بما تحمله من مُفردات واقعيّة وعلميّة. (انظر: الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات، ص 99).

141 – المرجع السّابق، انظر الصفحة 111 وما بعدها، والصفحة 147 وما بعدها.

142 – الأمواج الكهرطيسيّة أو الكهرومغناطسيّة، وهي أنماط مرتبطة من القوى الكهربائيّة والمغناطسيّة، تتولّد هذه الموجات نتيجة لتذبذب الشّحنات الكهربائيّة وحركتها للأمام والخلف، وهي تنتقل خلال الفضاء بسرعة الضّوء، وهي 792،299 كم في الثانية، وأهمّ أنواع الموجات الكهرومغناطسيّة مرتبة ترتيبا تصاعديّاً حسب الطّول الموجيّ هي أشعة جاما، فالأشعّة السّينيّة، فالضّوء فوق البنفسجيّ، فالضوء المرئيّ، فالأشعّة الحمراء، فالموجات المتناهية الصّغر ثمّ موجات الرّاديو. وللأمواج الكهرطيسيّة استخدامات كثيرة منها: الطبّ والإنارة، والاتّصال والاستخدامات اليوميّة كالطّهو مثلاً.(الموسوعة العربيّة العالميّة، 24/362–368).

143 – انظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 22.

144 – انظر: الباراسيكولوجي: ظواهر وتفسيرات، ص 102.

145 – انظر مثلاً: كتاب العالم الباراسيكولوجيّ البريطانيّ G.N.M, Tyrrell: (The personality of man)

فقد أورد هذا الحلم في الصفحة 81 منه.

التّعرّف عليه، واستيقظ الشّاب مرعوبًا ليُستدعى في اليوم التّالي إلى المُستشفى ويُعاين جثّة عمّه وفق ما رأى في الحلم، فقد دهسته سيّارة في الصبّاح وهو يُغادر منزله[146].

إنّ هذه القصص – وغيرها في الواقع كثير–[147] دفعت الباحثين الّذين شغلوا بأمر تنبّؤات الأحلام إلى محاولة إيجاد تعليلات علميّة لهذه الظّاهرة، فلئن ذهب علماء النّفس من أمثال "فرويد"، ومن ماثله في الفكر والتّصوّر إلى تفسير ذلك بعامل الاتّفاق والمُصادفة، فإنّ علماء "الباراسيكولوجيا" لم يجدوا في ذلك تبريرًا مُقنعًا، فعامل المُصادفة قد يصحّ في تعليل كثير من تنبّؤات الأحلام، ولكنّه لا يصحّ في تعليلها كلّها خاصّة الّتي تحقّقت بتفاصيلها الدّقيقة، فاجتماع هذه التّفاصيل في الحلم وفي الواقع ليس ناشئًا عن المُصادفة المحضة، فقوانين الاحتمال في علم الإحصاء تستبعد ذلك في تصوّرهم، والأمر الثّاني الّذي ردّوا به عامل المصادفة هو تكرّر الحُلم أحيانًا أكثر من مرّة وتفسيرهم لذلك هو أنّ تنبّؤات الأحلام تدلّ على وجود حاسّة خارقة في الإنسان تخترق الزّمان وتستشفّ ما وراءه من حوادث مقبلة[148].

ومستندهم في ذلك نظريّة "أينشتاين" [149] في الزّمن الّتي تَعتبر الزّمن بُعدًا آخر في الطّبيعة، أي بُعدًا آخر للمادّة، بالإضافة إلى الطّول والعرض والارتفاع، وتؤكّد نظريّة "أينشتاين" أنّ الزّمن البشريّ المعلوم زمن نسبيّ على الأرض يتغيّر بتغيّر المُراقب للأحداث، فما قد يكون ماضيًا بالنّسبة لأناس معيّنين قد يكون مستقبلاً بالنّسبة إلى غيرهم، فمقاييس النّاس اعتباريّة لا حتميّة، وعلى أساس هذا الشّعور للزّمن يرى "الباراسيكولوجيّون" أنّ الإنسان يمتلك مقدرة خفيّة تمكّنه من التّحليق في أحلامه فوق هذا البعد (أي بعد الزّمن) بحيث يتطلّع إلى ما يحتوي عليه الزّمن من أحداث آتية قليلاً أو كثيرًا[150].

ولتأكيد هذه القدرة في الإنسان من خلال ما يعرض له من تنبّؤات في الأحلام قام جملة من العلماء بإجراء إحصائيّات لهذه الحالات، فقام مثلاً العالم الطّبيعيّ المعروف "أوليفر لودج"[151] بدراسة إحصائيّة استقصى فيها حالة عدد كبير من النّاس، فوجد أنّ هناك 1300 شخص شعروا مرّة في حياتهم في الحلم أو غير ذلك بإحساس غريب يُنْبئهم بوُقوع كارثة على أحد أقربائهم أو أصدقائهم الأعزّاء، وتبيّن له أنّ هذا الإحساس لم يتحقّق عند أولئك الأشخاص سوى ثلاثين مرّة، وهو يرى أنّ هذه النّسبة على ضآلتها تؤكّد وُجودَ اتّصال بين ذهن من يتنبّأ بالكارثة وذهن من تقع عليه[152].

إذن فلباب المقول "الباراسيكولوجيّ" في الرُّؤى والأحلام هوأنّ الإنسان يمتلك قدرة خارقة قد أسماها عالم "الباراسيكولوجيا" الأمريكيّ "Joseph Banks Rhine"بـــــــــ"الإدراك من غير حاسّة"، وهي قدرة سمّيت من قِبَل العُلماء بمُسمّيات مختلفة منها "الحاسّة السّادسة"، هذه القدرة فسّرها علماء "الباراسيكولوجيا" بالتّناغم الموجيّ بين مُخّي شخصين، انطلاقًا من أنّ المخّ البشريّ يصدر"أمواجًا كهرطيسيّة" من نوع معيّن، وهي أمواج تختلف في ساعات النّوم عن تلك الأمواج الّتي يصدرها المخّ في ساعات اليقظة.

وعمومًا نقول إنّ الطّرح "الباراسيكولوجيّ" في مسألة الرُّؤى والأحلام ومضامينها التّنبّؤية يبقى طرحًا قاصرًا ومفتقرًا إلى

---

146 – Rhine Joseph Banks: The reach of the mind, p. 59. (نقلاً عن علي الوردي في كتابه: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 145).

147 – انظر: الموصليّ: الباراسيكولوجي: ظوهر وتفسيرات، ص 102–104. وأيضا: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 145–147.

148 – أُنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 149.

149 – ألبارت أينشتاين (1879–1955م) أحد أهمّ العلماء على مدى العصور، ذاع صيته بسبب نظريّته الّتي تسمّى "النّسبيّة" الّتي قدّمها أوّل مرّة عندما كان عمره 26 عامًا، من أهمّ إضافاته في العلوم الفيزيائيّة نظريّة الكمّ، وميكانيكا الكمّ، وكهروديناميكا الأجسام المتحرّكة، قال بنسبيّة الزّمن واعتبره بُعدًا رابعًا بالنّسبة للإنسان، ساند الصّهونيّة، وتروي بعض المصادر أنّه رفض رئاسة دولة إسرائيل الّتي عُرضت عليه عام 1952م، بحجّة أنّه غير مناسب للمنصب. (الموسوعة العربيّة العالميّة، 3/561–563. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 1/569).

150 – انظر: الباراسيكولوجي: ظواهر وتفسيرات، ص 107–109. (وانظر أيضا: علي الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 150–151).

151 – أوليفر جوزيف لودج (1851–1940م): فيزيقيّ أنجليزيّ، أسهم بنصيب وافر في تحسين وسائل نقل البرقيات لاسلكيًّا، أجرى بحوثًا عديدة على الإلكترونيّات والأثير والبرق، كان أستاذًا للفيزيقا بجامعة ليفربول من 1881 إلى 1900م عمل على التّوفيق بين العلم والدّين، واشتغل بالبحوث الرّوحيّة، وكان شديد الإيمان بالحياة بعد الموت، شغل منصب مدير جامعة برمنجهام سنة 1900م. من أعماله: "آراء حديثة في الكهرباء" 1889م و"الأثير في الفضاء" 1909م و"الكهيربات" 1907م.(الموسوعة العربيّة العالميّة، 21/185. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 6/2892).

152 – أُنظر: الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 157.

المُؤيّدات العلميّة الدّقيقة، إذ لم يتوصّل العلم الحديث إلى يومنا هذا إلى اختراع جهاز قادر على تسجيل "الأمواج الكهرطيسيّة" الصادرة عن المخّ بصفة دقيقة، ثمّ إنّ العلماء لم يتوصّلوا إلى يومنا أيضًا إلى رصد جميع أنواع "الأمواج الكهرطيسيّة".

ومع ذلك نقول إنّ الحراك العلميّ البشريّ ربّما يمكّننا يوما ما من ذلك، لنتمكّن بالتّالي من قراءة أفكار المخّ البشريّ من خلال معرفة طول ما يصدره من موجاتٍ.

المبحث الثّالث: الحقل الدّلاليّ لمُصطلح الرُّؤيا

لئن أثار مصطلح الرّؤيا جدلا كبيرًا في الحقبات التّاريخيّة المختلفة والسّجالات العلميّة المتنوّعة، فإنّه قد أفرز في المقابل حقلا دلاليًّا ثريًّا وخصبًا، فيه وُصلَت الرّؤيا بما شَاكلها أو جانسها من ملفوظات ومدلولات، فكانت تارة جزءًا من كلّ، وطورًا كلاًّ يُماثلُ كلاًّ، وحينًا خاصًّا في سياق العامّ، لذلك سنحاول في هذا المبحث أن نستكنه حقيقة هذه الصّلات ونبرز الثّراء الدّلاليّ لهذا اللّفظ.

المسألة الأولى: الرُّؤيا والحُلم

✓ **في معنى الحلم**

"الحُلُمُ" في اللّغة من حَلَمَ يَحْلُمُ حُلْمًا وحُلُمًا الإنسان في منامه رأى رُؤْيَا أو حُلُمًا، فهو حَالِمٌ[153]. يقول " ابن منظور" في اللّسان: "الحُلْمُ والحُلُمُ: الرُّؤْيَا، والجمع أحلامٌ، يُقال: حَلَمَ يَحْلُمُ، إذا رأى في المنام"[154].

ونجد لهذا التّعريف حضوراً أيضًا في القاموس المحيط، إذْ جاء فيه: الحُلْمُ بالضمّ وبضمّتيْن: الرُّؤيا، والجمع أحلامٌ، حَلَمَ في نومه واحتَلَمَ وتَحَلَّمَ وانْحَلَمَ، وتَحَلَّمَ الحُلْمَ: استعمله، وحَلَم به وعنه: رأى له رُؤيا أو رآه في النّوم"[155].

وهذا التّعريف عينه نجده في كتاب "العيْن" لـــــ"الخليل بن أحمد الفراهيدي" الّذي يقول: "الحُلُمُ الرُّؤْيَا، يُقال: حَلَمَ يَحْلُمُ إذا رأى في المنام"[156].

ولم يشذّ اللّغويّ "ابن سيّده" في تعريفه للحلم عن هذا المسار، إذا يقول: "الحُلْمُ والحُلُمُ: الرُّؤيا، والجمع أحلام، وقد حَلَمَ به وحَلَمَ عنه وتَحلَّمَ عنه رأى له رُؤيا أو رآه في النّوم"[157].

إنّ تتبّعنا لهذا التّعريف اللّغويّ "للحُلُم" في مختلف هذه المعاجم والقواميس هو لغاية معيّنة، إذْ لو لم يكن كذلك لَكان تِكرارًا ونسخًا عقيمًا لتراث اللّغويّين في بيانهم لمدلول هذا اللّفظ، فغايتنا من هذا التّتبّع هي أنْ نبيّن ذلك الحرص من اللّغويّين على مرادفة لفظ "الحُلُم" بلفظ "الرُّؤيا"، ففي كلّ مُعجمات اللّغة العربيّة وقواميسها –بلا استثناء– نجد هذا التّرادف[158] قائمًا يرثه المتأخّرون عن المتقدّمين.

لذلك فإنّه يجوز لنا وفق هذا الاستقراء أنْ نُماثل بين "الحُلُم" و"الرُّؤْيا" لفظًا ومعنى في الاصطلاح اللّغويّ العربيّ.

وإن كان لفظ "الحُلم" في الاصطلاح اللّغويّ يفيد "الرُّؤيا" المناميّة، فإنّه في الاصطلاح العلميّ يقترب من هذا المعنى أيضا، إذ تُعرّفه "الموسوعة العربيّة العالميّة" بأنّه "قصّة يشاهدها الشّخص في نومه أو يتراءى له أنّه يُشارك فيها، وأنّ أحداث الحُلم في الغالب خياليّة، لكن لها علاقة بالتّجارب الواقعيّة للعالم، وأنّ كلّ النّاس يحلمون، ولكن القليل منهم يتذكّر أحلامه"[159].

أمّا موسوعة علم النّفس والتّحليل النّفسيّ فتُعرّفه بالآتي: "الحُلم هو سلسلة من الهلاوس والتّخييلات الّتي تحدث لنا أثناء النّوم، وتختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنطقيّتها، وعمومًا فإنّ الحُلم يُعتبر من أهمّ الحيل الأساسيّة الّتي تلجأ إليها النّفس لإشباع رغباتها ودوافعها، خاصّة تلك الّتي يكون إشباعها صعبًا أو مستحيلاً أو مدانًا في عالم الواقع"[160].

إنّ ما يعنينا ممّا يقدّمه كِلا الطّرحين، اللّغويّ أو العلميّ، في بيان مدلول "الحُلم" هو أنّ هذا اللّفظ يرِد في الطّرحين كوصف لِما قد يراه النّائم في منامه بغضّ النّظر عن دوافع ومُسبّبات ما سيراه في ذاك المنام، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الطّرح العلميّ كان أكثر غوصًا في اللّفظ كظاهرة تُدْرَسُ وتُخْتَبرُ.

153 – الكرمي: الهادي إلى لغة العرب، 524/1.

154 – ابن منظور: لسان العرب، 209/4.

155 – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 397.

156 – الفراهيدي: كتاب العين، 351/1.

157 – ابن سيّده: المُحكم والمُحيط الأعظم في اللّغة، 276/3.

158 – هو ترادف أبطله الاصطلاح الشّرعيّ الإسلاميّ، كما سنرى لاحقًا، ولكنّ اللّغويّين يصرّون عليه في أغلب، إن لم نقل في جلّ مصنّفاتهم.

159 – الموسوعة العربيّة العالميّة، 503/9. (بتصرّف)

160 – عبد القادر: موسوعة علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص 493.

✓ **بين الرُّؤيا والحُلم**

لئن لم يميّز الاصطلاح اللّغويّ بين لفظيْ "الحُلم" و"الرُّؤيا" ومدلوليهما، فإنّ الاصطلاح الشّرعيّ قد أقام هذا التّمييز، وكان المُنطلق الأساسيّ في ذلك النّصوص التّأسيسيّة من قرآنٍ وسُنّةٍ، فقد فرّق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين "الرُّؤيا" و"الحُلم" في أكثر من موضعٍ، والأحاديث كثيرة في الدّلالة على هذا التّفريق، فمن ذلك مثلاً ما أخرجه الإمام "البُخاريّ" رحمه الله، من حديث "أبي قتادة" رضي الله عنه الّذي قال فيه: "سَمِعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "الرُّؤيا الصّادقة من الله والحُلم من الشّيطان"[161].

ويقول "ابن حجر العسقلانيّ" رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "وظاهر قوله صلّى الله عليه وسلّم: "الرُّؤيا من الله والحُلم من الشّيطان" أنّ الّتي تُضاف إلى الله لا يُقال لها (حُلم) والّتي تُضاف للشّيطان لا يُقال لها (رُؤيا)، وهو تصرّف شرعيّ"[162].

إنّ هذا التّمييز النّبويّ تُؤيّده آيات القرآن الكريم، فلفظ "الرُّؤيا" غالبًا ما يرِد في القرآن في مقام المدح والاستحسان، مثل قوله تعالى:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ﴾(الفتح: 27)، وقوله عزّ وجلّ مُحدّثًا عن "إبراهيم الخليل" عليه السّلام: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(الصّافات: 104-105)، وغير ذلك منالآيات الكريمات. أمّا لفظ "الحُلم" فيرِدُ في القرآن الكريم في صيغة الجمع "أحلام" في مقام القدح والذمّ من قبيل قوله جلّ وعلا: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الطّور: 32)، وقوله سُبحانه مُخبرًا عن المعبّرين المصريّين:﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾(يوسف: 44)، بعد أن كان خاطبهم حاكمهم:﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾(يوسف: 43).

ولعلّ هاتيْن الآيتيْن الأخيرتيْن، تؤكّدان أنّ التّمييز بين لفظيْ "الرُّؤيا" و"الحُلم" هو تمييز قديم، فالفرعون طلب تفسير رُؤياه لا حلمه، والملأ اعتبروا رُؤياه أضغاث أحلام لا رؤيا. فالرُّؤيا والحُلم إذن هما حالتان للنّائم، أو هما "عبارة عمّا يراه النّائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت – في الاصطلاح الشّرعيّ– الرُّؤيا على ما يراه من الخير والشّيء الحسن، وغلب الحُلم على ما يراه من الشرّ القبيح"[163]. لذلك ينسب الحديث النّبويّ الشّريف "الرُّؤيا إلى الله و"الحُلم" للشّيطان.

ولكن إذا كان الاصطلاح الشّرعيّ الإسلاميّ يُميّز بين اللّفظيْن ومدلوليهما، فلماذا يصرّ اللّغويّون على المُماثلة بينهما لفظًا ومعنى ؟

إنّ الإجابة على هذا التّساؤل يقدّمها الباحث "توفيق فهد" الّذي يرى أنّ هذه المُماثلة تُعتبر قصورًا تشارك فيه اللّغة العربيّة القديمة سائر اللُّغات السّامية القديمة الأخرى، فبِرأيه ما من شيء يُميّز "الحُلم" من "الرُّؤيا" في هذه اللّغات، ولفظ "الحُلم" يُؤدّي فيها معنى "الرُّؤيا"، فـــ"شيتو" (نوم) و"شتو" (حُلم) و"موناتو" (فجر، حلم)، والجذر "ب.ر.ي" (رأى) في "الأكاديّة" . و"شينا" (نوم) و"تنوما" (نوم خفيف، نعاس)، و"مرأى/ها" (ليلة) و"حازيون" (ليلة) في العِبريّة، و"سِنَةٌ" (نوم) و"منام" (غفوة، حلم) و"رُؤيا" في العربيّة كلّها تعني "الرُّؤيا" الليليّة أو الحُلم[164].

في الواقع إنّ هذا التّحليل قد يكون منطقيًّا إلى حدٍّ ما خاصّة إذا ما علمنا أنّ بين اللّغات السّامية القديمة واللّغة العربيّة القديمة مُشتركات لفظيّة وأحيانًا معنويّة جمّة، فلا ضيْر أن يكون لفظ "الحُلم" أحدها.

ومن المهمّ أنّ نُشير هنا إلى أنّ المُماثلة الّتي تُقيمها هذه اللُّغات – واللّغة العربيّة بالتّحديد– بين "الحُلم" و"الرُّؤيا" قد بدا تأثيرها واضحًا في المُتلفّظ الشّعبيّ اليوميّ، فحينما يُحدّثك أحدهم بما رآه من رُؤيا في منامه، فإنّه يستهلّ قوله بـــــ"حلمتُ البارحة" لا "رأيت البارحة"، وعمومًا نقول إنّ الضّبط الاصطلاحيّ والدّلاليّ للفظيْن في الحقل الإسلاميّ يكون الاحتكام فيه إلى النصّ القرآنيّ والمنطوق النّبويّ.

إنّ الحقل الدّلاليّ لمصطلح "الرُّؤيا" لا يقتصر على "الحُلم" أو ما شاكله من المُسمّيات القرآنيّة"[165] الأخرى للفظ "الرُّؤيا"، وإنّما هو

---

161 – البخاريّ: الجامع الصّحيح، كتاب التّعبير، باب الرُّؤيا من الله، الحديث رقم 6984، 296/4.

162 – ابن حجر العسقلانيّ: فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، 369/12.

163 – ابن الأثير: النّهاية في غريب الحديث والأثر، 434/1.

164 – أُنظر: فهد: الكهانة العربيّة قبل الإسلام، ص 189-190.

165– من ذلك مُسمّى أو لفظ "الأحاديث" الوارد في قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: 6).

أوسع وأشمل من ذلك، فالرُّؤيا لها صِلة وثيقة بالمُعتقد ومُؤيّداته كالوحي والنّبوّة.

المسألة الثّانية: الرُّؤيا والوحي والنّبوّة

✓ **في معنى الوحي**

يعود لفظ "الوحي" في اللّغة العربيّة إلى مادّة (و.ح.ى) ويحمل مُسمّى "الوحي" معاني كثيرة، منها الإشارة والكتاب والرّسالة والصّوت[166]، يقول التّهانويّ في "الكشّاف: "الوحي بالفتح وسكون الحاء في الأصل: الإعلام في خفاء، وقيل الإعلام بسرعة، وكلّ ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة، فهو وحي"[167].

وقد دلّ على معنى الإشارة قوله تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِفَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(مريم: 11)، وللوحي معانٍ أخرى كثيرة كالإلهام والأمر، فالأوّل يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾(القصص: 7)، أمّا الثّاني فيدلّ عليه قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾(المائدة: 111).

ولا يحيدُ التّعريف الشّرعيّ للوحي عن جملة هذه المعاني، فالوحي شرعًا هو "أن يُعْلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرّية خفيّة غير مُعتادة للبشر، ويكون على أنواع شتّى: منه ما يكون مكالمة بين العبد وربّه، كما كلّم الله موسى تكليمًا، ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب مُصْطَفَاهُ على وجه من العلم الضّروريّ لا يستطيع له دفعًا، ولا يجد فيه شكًّا، ومنه ما يكون منامًا صادقًا في تحقّقه ووُقوعه، كما يجيء فلق الصّبح وتَبَلُّجُهُ وسطوعه، ومنه ما يكون بوساطة أمين الوحي "جبريل" عليه السّلام"[168].

وهذا التّعريف لـــــ"الزّرقاني" ربّما كان منطلقه وأساسه قول الله سبحانه:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(الشّورى: 51)، وقوله جلّ ثناؤُهُ:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(النّساء: 163)، وغيرها من آيات القرآن الكريم التّي ذكر فيها الوحي بصيغه ومُسمّياته المُختلفة[169].

إنّ ما يُمكن فهمه من التّعريفيْن: اللّغويّ والشّرعيّ للوحي هو أنّه خِطَابٌ أو كَلَامُ الله لرُسُلِهِ أو أنبيائه بطُرق مُتنوّعة، إحداها الرُّؤيا الصّادقة، وهي الطّريقة الّتي تعنينا في بحثنا، فهذه الطّريقة الوحيّية هي أوّل طُرق الوحي ومراتبه وفق ما تُخبر به أمّ المؤمنين "عائشة" رضي الله عنها عن حال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بدء الوحي، إذْ تقول: "أوّل ما بُدِئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرُّؤيا الصّادقة في النّوم، فكان لا يرى رُؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصُّبح"[170]، فالرُّؤيا بهكذا معنى إذن هي أوّل طُرق تبليغ وحي الله إلى رُسله[171].

✓ **في معنى النّبوّة**

لقد عرّف الإنسان منذ القِدَم كلمة "النّبوّة"، فقد وجدت في جميع اللّغات واللّهجات، غير أنّ استعمالاتها تعدّدت وتنوّعت، ففي اليونانيّة القديمة مثلاً كانت تُطلق على المُتكلّم بصوت جهوريّ، أو على من يتحدّث في الأمور الشّرعيّة، وعند الفراعنة كانت تُطلق على كهنة "آمون"[172]. كما أُطلقت على "إيزيس"[173]. في مصر القديمة، ولم

---

166 – أُنظر: ابن فارس: مقاييس اللّغة، 93/6.

167 – التّهانوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1776/2.

168 – الزّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، 55/1.

169 – جاءت مادّة (و.ح.ى) في القرآن الكريم ثماني وسبعين مرّة، فجاءت بلفظ المصدر 6 مرّات، وبلفظ الماضي 44 مرّة، وبلفظ المضارع 28 مرّة، وفي ذلك دلالة على أنّ الوحي أمر هامّ وجوهريّ في النبوّات والأديان.(انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمّد فؤاد عبد الباقي، مادّة (و.ح.ى)، ص 746-747).

170 – البخاريّ: الجامع الصّحيح، كتاب التّعبير، باب أوّل ما بُدئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرُّؤيا الصّادقة، الحديث رقم 6982، 295/4.

171 – سنفصّل القول في الارتباط بين الرُّؤيا والوحي لاحقا إن شاء الله.

172 – **آمون**: إله مصريّ ذكر في أساطير المصريّين القدماء، كان يعبد بشكل رئيسيّ في مدينة طيبة، كان معبده في الكرنك والأقصر من أثرى وأفخم المعابد في البلاد، وقد بلغ أوْج عظمته وأهمّيته أثناء فترة المملكة الجديدة (1554-1070 ق.م) عندما كانت طيبة عاصمة مصر.(الموسوعة العربيّة العالميّة، 123/3. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 442/1).

173 – **إيزيس**: من أشهر معبودات الفراعنة كان وطنها الأصيل في الدّلتا، كانت أوّل أمرها ربّة السّماء ولمّا احتوتها أسطورة أوزيريس أفقدتها طبيعتها الأولى فأضحت زوجة لأوزيريس ملك العالم السّفليّ، صوّرها المصريّون في صورة امرأة وعبدوها، باعتبارها حامية الموتى والأم المقدّسة، كما عبدها الإغريق في

يقتصر الأمر على إطلاقها على من يعمل في الحقل الدّينيّ، فحسب بل أُطلقت على السَّحَرة والمُنجّمين والمعتوهين، ويذكر عُلماء مُقارنة الأديان عدّة أنواع من النّبوّات، منها نبوّة السّحر، ونبوّة الكهانة والتّنجيم، ونبوّة الجذب والجنون المقدّس، ونبوّة الرُّؤيا والأحلام[174].

أمّا عن معناها في اللّغة، فإنّ النّبوّة ترِدُ في اللُّغَة على وجهين، أوّلهما بالهمز، وهو مأخوذ من النَّبإِ والخبر، وعلى ذلك يكون النّبِيّ هو من يتلقّى الخبر من الله تعالى ثمّ يبلّغه للنّاس. وثانيهما بغير همز، وهو مأخوذ من النَّبْوَةِ، وهو ما ارتفع من الأرض، يُقال: نبا الشّيء إذا ارتفع، وعلى ذلك يكون معنى النّبِي هو من علا وشرُف، لأنّ منزلته أعلى وأرفع منازل البشر[175].

فالنُبُوَّةُ في اللّغة إذن هي الإنباء عن المغيّبات[176]، والنّبي هو المُخْبِرُ عن الله والمُتكلّم باسمه، وهو نفس المعنى الاصطلاحيّ الشّرعيّ، فهي اصطفاء ومنّة من الله يختصّ بها من يشاء من عباده، فيكون مبعوثه لخلقه والمُخْبِرَ عنه والمُبلِّغَ لأحكامه، فهي بمثابة الواسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ الشّرع[177].

وهذا المعنى الاصطلاحيّ تشترك فيه -تقريبًا- الرّسالات السّماويّة الثّلاث، ففي "قاموس الكتاب المقدّس" أنّ "النُّبُوَّة" تعني الإخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الأمور المُستقبليّة، ومصير الشّعوب والمُدن، والأقدار بوحي خاصّ منزّل من الله[178].

لكن يبقى الاختلاف قائمًا بين الاصطلاح الإسلاميّ والاصطلاح الكِتابيّ في من يدخل تحت مُسمّى "النّبوّة"، فالاصطلاح الكِتابيّ يستعمل لفظَ "نبيّ" بمدلول أوسع وأشمل فيُدخل تحته الأنبياء الحقيقيّين وغير الحقيقيّين، أي أنّه يشمل الأنبياء الّذين اختارهم الله تعالى لرسالته وأنبأهم بوحيه وأرسلهم إلى الخلق لإصلاح حال المُجتمعات الإنسانيّة، كما يشمل أدعياء النّبوّة من السَّحَرَةِ والكَهَنَةِ والمُنَافِقِينَ وغيرهم[179]، في حين يجعلها الاصطلاح الإسلاميّ خاصّة بالفِئة الأولى دون غيرها.

عمومًا إنّ "النّبيّ" هو من يوحي إليه الله تعالى، وهذا الوحي يكون بطُرُق شتّى يعنينا منها الرُّؤيا، وإذا كان ذلك كذلك فالرُّؤيا لها علاقة بالنّبوّة كما لها علاقة بالوحي، فما الخيط النّاظم بين هذه الحلقات الثّلاث ؟

✓ بين الرُّؤيا والوحي والنّبوّة

لقد تبيّن لنا في مستهلّ هذه المسألة أنّ الرُّؤيا أوّل مراتب الوحي، فالحديث الّذي روته "عائشة" رضي الله عنها من أنّ أوّل ما بُدئَ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرُّؤيا الصّادقة يُفهَمُ منه أنّ رُؤيا الأنبياء وحي، وهي حقيقة تؤكّدها النّصوص الشّرعيّة الّتي ذكرت بعض مرائي أنبياء الله صلوات ربّي وسلامه عليهم أجمعين، فمن ذلك مثلاً رُؤيا نبيّ الله "إبراهيم" عليه السّلام في شأن ذبح ابنه في قوله جلّ ثناؤه:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصّافات 102)، وإقدامه عليه السّلام على ذبح ابنه تصديقًا لوحي الله عزّ وجلّ، فلو لم تكن رُؤياه وحيًا من الله لَما أقدم على ذلك، لذلك أثنى عليه الله سبحانه في تصديقه للرُّؤيا بقوله تعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(الصّافات: 104-105).

ومن ذلك "رؤيا" "يوسف" الصدّيق عليه السّلام في مستهلّ سورة "يوسف" الّتي جاء فيها قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: 4). وكيف أنّ رُؤياه تحقّقت في الواقع لأنّها وحي من الله تعالى، يقول جلّ ثناؤه:﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف: 100)، يُضَاف إلى هذا ما ورد في كُتب الحديث النّبويّ الشّريف من أنّ "رُؤيا الأنبياء وحي"[180].

الإسكندريّة، وكذلك عبدها الرّومان ونقلوا عبادتها إلى أوروبا.(الموسوعة العربيّة العالميّة، 508/3. الموسوعة العربيّة الميسّرة، 555/1).

174 – أُنظر: الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ص 1385.

175 – أُنظر: الرّازي: مُختار الصّحاح، ص 346. وانظر أيضا: لسان العرب، 182/14-183.

176 – أُنظر: الكرميّ: الهادي إلى لغة العرب، 243/4.

177 – انظر كتاب النّبوّات لتقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن تيميّة، 19/1.(وانظر أيضا: كشّاف اصطلاحات الفنون للتّهانوي، 1681/2-1682).

178 – انظر: قاموس الكتاب المقدّس، تأليف نخبة من الأساتذة واللاّهوتيّين، ص 949.

179 – أُنظر: حجازي: مقارنة الأديان بين اليهوديّة والإسلام، ص117.

180 – انظر: البخاريّ: الجامع الصحيح، كتاب الآذان، باب وضوء الصّبيان، الحديث 859، 275/1. وكتاب الوضوء، باب التّخفيف في الوضوء، الحديث 138، 66/1.(وانظر أيضا المعجم الكبير للطّبرانيّ، الحديث 12302، 6/12).

أمّا عن علاقتها بالنّبوّة، فإنّ الرُّؤيا تمثّل في المُعتقد الإسلاميّ جزءًا من أجزاء النّبوّة. والأحاديث المُتواترة في بيان هذا الاعتقاد كثيرة، فمن ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا اقترب الزّمان لم تكد رُؤيا المُؤمن تكذب، وأصدقهم رُؤيا أصدقهم حديثًا، ورُؤيا المُسلم جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النّبوّة"[181]، وأيضًا قوله صلّى الله عليه وسلّم: "رُؤيا المُؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النّبوّة"[182]، وقوله: "الرُّؤيا الصّالحة جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النُّبُوّة"[183]، وغيرها[184] من الأحاديث النّبويّة الّتي تُبيّن هذا وتؤكّده.

وإذا كانت الرُّؤيا في الإسلام جزءًا من النّبوّة ، فهي عند "أهل الكتاب" تُرادف النّبوّة في بعض الأحيان، فيُطلق لفظ "الرّائي" على "النّبيّ"، فقد جاء في سِفر "صموئيل" الأوّل ما نصّه: " سَابِقًا فِي إِسْرَائِيلَ هكَذَا كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَهَابِهِ لِيَسْأَلَ اللهَ: هَلُمَّ نَذْهَبْ إِلَى الرَّائِيلأَنَّ النَّبِيَّ الْيَوْمَ كَانَ يُدْعَى سَابِقًا الرَّائِيَ "[185]، فالنّبيّ عندهم هو في نفس الوقت الرّائي الّذي يرى أمورًا لا تقع في دائرة البصر الطّبيعيّ ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن الطّبيعيّة أن تسمعها فالكلمتان مُترادفتان عندهم[186].

وكما أنّ الرُّؤيا وسيلة أو مرتبة من مراتب الوحي في الإسلام، فإنّها كذلك عند "أهل الكتاب"، فالرُّؤى في الفكر الكتابيّ هي وسيلة استخدمها الله (يهوه) لإعلان كلمته أو مشيئته لعبيده[187].

فالرُّؤيا عند اليهود والنّصارى وحي من الله لأنبيائه، فنقرأ في سِفر التّكوين مثلاً: "بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ فِي الرُّؤْيَا"[188]. وكذلك في سفر العدد: " إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْحُلْمِ أُكَلِّمُهُ"[189].

إنّ جُملة ما ذكرناه يُبيّن بجلاء الصّلة الوثيقة بين الرّؤيا والوحي والنّبوّة، فهي (الرُّؤيا) في علاقتها بالوحي شكل من أشكاله، أمّا في علاقتها بالنّبوّة، فهي مؤيّد من مُؤيّداتها وصلة بين الإله والنّبيّ، باعتبارها وحيًا، ومع هذا فإنّ الرُّؤيا في الإسلام لا يُؤخذ منها أحكام[190]وإنْ كانت جزءًا من أجزاء النّبوّة أو مرتبة من مراتب الوحي، إلاّ أنّها تمثّل عند أهل الكتاب وعُلماء اللاّهوت الكتابيّ نبوّة ووحيًا تُستقى منه الأحكام الشّرعيّة ومبادئ العقيدة ويُستلهم منه خبر الماضي والحاضر والمُستقبل، وربّما كان هذا الأمر مردّ الاختلاف فيما بينهم في العقيدة وسببًا في إدراج الأحكام الّتي لا أصل لها في دِيانتهم إيمانًا منهم بأنّ رُؤيا غير الأنبياء هي أيضًا وحي وإلهام يتضمّن عقائد وتعاليم وأحكام.

المسألة الثّالثة: الرّؤيا والكهانة والعرافة

✓ **في معنى الكهانة والعرافة**

"الكهانة" في اللّغة من جذر (ك.ه.ن) إذ يُقال كَهَنَ يَكْهَنُ كَهْنًا الرّجل تحدّث عن الغيب وتنبّأ به، فهو كَاهِنٌ، وكَهُنَ يَكْهُنُ كهانة الرّجل صارت صناعته "الكهانة"، أي القضاء بالغيب والتّنبّؤ به، فهو كَهِينٌ، وهي كَهِينَةٌ، والجمع كِهَانٌ وكُهُنٌ، وكَهَنَ كِهَانَةً مثل كتب يكتب كتابة، إذا تَكَهَّنَ، والكَاهِنُ في كلام العرب هو أيضا من يقوم بأمر الرّجل ويسعى في حاجته[191].

وفي الاصطلاح العلميّ الكهانَةُ علم "المُراد منه مناسبة الأرواح البشريّة مع الأرواح المجرّدة، أي الجنّ والشّياطين، والاستعلام بهم عن الأحوال الجُزئيّة الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمُستقبل"[192].

---

181 – التّرمذيّ: الجامع الصّحيح (السُنن) كتاب الرّؤيا، باب أنّ رُؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النّبوّة، الحديث 2270، 532/4، وقال فيه حديث حسن صحيح.

182 – البخاريّ: الجامع الصحيح: كتاب الرّؤيا، باب الرّؤيا الصّالحة جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النّبوّة، الحديثين 6987 و6988، 296/4–297.

183 – م.ن، الحديث 6989، 297/4.

184 – راجع في ذلك مثلاً: الموطّأ للإمام مالك، كتاب الرُّؤيا. والمُستدرك على الصّحيحين للحاكم النّيسابوريّ، كتاب تعبير الرّؤيا.

185 – صموئيل الأوّل: 9/9.

186 – انظر: دائرة المعارف الكتابيّة، 14/8.(وكذلك كتاب: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل لـــــ ص سيجال،، ص 9 وما بعدها).

187 – أُنظر: دائرة المعارف الكتابيّة، 19/4–20.

188 – التّكوين:1/15

189 – العدد: 6/12.

190– باستثناء رؤى الأنبياء عليهم السّلام الّتي قد يؤخذ منها ذلك.

191 – انظر في جملة هذه المعاني: لسان العرب لابن منظور، 128/13. والهادي إلى لغة العرب لحسن سعيد الكرمي، 72/4. والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ص1442 وغيرها من معاجم اللّغة وقواميسها في مادّة (ك.ه.ن).

192 – خليفة: كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، 1524/2.

أمّا في الاصطلاح الشّرعيّ، فهي محاولة مزعومة لمعرفة المجهول بالطُّرق السّحريّة، أو الوسائل فوق الطّبيعيّة، فبعض النّاس يفترضون أنّ الكاهن يستطيع أن يعرف الماضي والحاضر والمُستقبل، ولذلك يزعم بعض الكهّان أنّ باستطاعتهم معرفة أسباب ما سيقع من أحداث كمرض الإنسان أو موته، وهناك أنواع عدّة من الكهانة كتحضير أرواح الموتى والاتّصال بها، والتّنجيم بدراسة الكواكب والنّجوم والشّمس والقمر، والتّنبؤ عبر تفسير الأحلام وقراءة الكفّ وغيرها من الطُّرق[193].

لقد عرفت البشريّة "الكهانة" عبر مراحل تاريخها المختلفة، بل كان للكهنة هياكلهم الخاصّة في الدّولة –الدّولة الرومانيّة واليونانيّة خاصّة– وكانوا مبجّلين من قِبَلِ العامّة والخاصّة. وفي الواقع يُمكن الحديث عن كهانات لا كهانة واحدة، كالكهانة "السّامية" والكهانة "الآشوروبابليّة" والكهانة "الآراميّة" والكهانة "الكنعانيّة" والكهانة "الفارسيّة" والكهانة "الهنديّة" والكهانة "التّركيّة" والكهانة "البربريّة" والكهانة "اليونانيّة الرّومانيّة"، والكهانة "العربيّة".

فقد عرف العرب أكثر من كاهن، وأدب صدر الإسلام حافل بحكايات عن كاهنات وكهان عرب كُثُر، لعلّ أشهرهم الكاهنان "شقّ"[194] و"سطيح"[195] والكاهنة "طريفة"[196] أو "ظريفة"[197].

أمّا "العِرَافَةُ" فتفيد في اللّسان العربيّ حرفة العرّاف، والعرّاف في اللّغة هو الرّجل الّذي يزعم علم الأشياء بأقلّ نظر، ومعرفة الغيب والإخبار عنه[198]. لذلك أُطلق لفظ "العرّاف" على الطّبيب و"الحازي"[199]، وعلى كلّ من يمتلك قُدرات مُماثلة لقُدرات "العرّاف"،و"العِرَافَةُ" كعلم هي "معرفة الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفيّة التّي تكون بينهما، أو الاختلاط أو الارتباط على أن يكونا معلولي أمر واحد، أو أن يكون ما في الحال علّة لما في الاستقبال"[200].

أمّا في المفهوم الشّرعيّ فـــــــ "العِرَافَةُ" هي زعم بمعرفة ما سوف يحدث في المُستقبل بطُرق غيـــــــــــــــر شرعيّة ولا منطقيّة ولا علميّة، ولقد ميّز البعض بين "العرافة" و"الكهانة" فجعل الأولى مختصّة بالأمور الماضية، والثّانية مختصّة بالأمور المُستقبليّة[201].

عمومًا، إنّ "الكهانة" و"العِرافة" من النّاحية الشّرعيّة مخالفتان تمامًا لما قرّره الإسلام، فقد استنكرهما الإسلام ونهى عنهما باعتبارهما رجما بالغيب، ويكفي أن نستدلّ في هذا السّياق بقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"[202]. وقوله أيضا: "من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمّد"[203].

لكن يبقى أن نُشير هُنا إلى أنّ "الكهانة" و"العِرافة" قبل الإسلام كانتا بالنّسبة للكثيرين مصدرًا لمعرفة المغيّبات ووسيلة لكشف

193 – انظر: الموسوعة العربيّة العالميّة، 125/20.

194– هو شقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار، ومنهم من يقول: أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال أنّه كان نصف إنسان ولأجل ذلك سمّي شقّا، ، ويُذكر أنّه كان من المبشّرين بسيّد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم في تعبيره لرؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن (ابن كثير: البداية والنّهاية، 2:1 /546–548).

195–هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسّان، ويقال: أنّه كان لا أعضاء له، وإنّما كان مثل السّطيحة، ووجهه في صدره، وكان إذا غضب انتفخ وجلس، ويُذكر أنّه أيضا كان من المبشّرين بسيّد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم في تعبيره لرؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن (ابن كثير: البداية والنّهاية، 2:1 /546–547).

196–هي طريفة بنت الخير الحميرية، وهي زوجة عمرو بن عامر اللّخميّ الّذي كان هو الآخر كاهنا، وينسب إليها تتبّوها بتحطّم سدّ مأرب وهلاك سبأ بالسّيل العرم، ويقال: أنّها تفلت في فم كلّ من شقّ وسطيح فأورثتهما الكهانة قبل موتها (ابن كثير: البداية والنّهاية، 2:1 /545–546).

197 – أُنظر: فهد: الكهانة قبل الإسلام، ص 42–51 وص 88.

198 – أُنظر: الكرميّ: الهادي إلى لغة العرب، 197/3. وانظر أيضاً: لسان العرب، 111/10.

199 – الحازي: في اللّغة العربية والعبريّة هو الرّائي.

200 – خليفة: كشف الظّنون عن أسامي الكُتب والفنون، 1131/2.

201 – انظر: الموسوعة العربية الميسّرة، 2227/4. والموسوعة العربيّة العالمية، 153/16–154.

202 – مسلم: صحيح مسلم، كتاب السّلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهّان، حديث 125 (2230)، 1751/4.

203 – النّيسابوريّ: المُستدرك على الصّحيحين،كتاب الإيمان، الحديث 15، 47/1. والحديث أخرجه أحمد و رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، وكذلك التّرمذيّ وابن ماجة في السّنن والنّسائيّ في السّنن الكبرى، وذكر ابن حجر في فتح الباري أنّ له شاهدا وأنّه روي بإسنادين جيّدين، كما صحّحه الألبانيّ في صحيح التّرغيب والتّرهيب برقم 3047.

المخفيّات وذلك عبر الطّرائق الكهانيّة والعرافيّة المتنوّعة الّتي مثّلت الرُّؤيا، أبرزها وأهمّها خاصّة في "الكهانة السّاميّة".

✓ **بين الرّؤيا والكهانة والعِرافة**

لقد عرفت البشريّة "الكهانة" و"العِرافة" منذ أقدم العصور، فهما قديمتان قِدَمَ الرُّؤى والأحلام في التّاريخ البشريّ، فقد كان النّاس قديمًا يقصِدون الكهنة والعرّافين فيسألونهم عن المغيّبات من الأمور، ويطلبون منهم تفسير رُؤاهم وأحلامهم لِما رسخ في اعتقادهم من قوّة الكهنة والعرّافين واضطلاعهم بأعمال تنبّوئيّة خارقة، فقد تنبّأ المُلهمون أو الوُسطاء أو ما عُرف بكهنة هياكل الوحي في "روما" و"اليونان" بالأحداث عن طريق تفسير الرّسائل الحُلميّة الّتي ترِد من الآلهة، وذلك عبر فكّ شيفراتها.

فمهمّة أو حِرفة تفسير الرُّؤى والأحلام مثّلت جزءًا هامًّا من مشمولات الكهنة في "مصر" القديمة، وعند "الفُرس" و"اليونانيّين" و"الرُّوم" وغيرهم. ولعلّ بروز تفسير الرُّؤى والأحلام كإحدى الطّرائق الكهانيّة كان أكثر ما كان في الكهانة السّاميّة الّتي تميّزت على نحو جوهريّ عبر تفسير المنامات وعبر"الحالومة"[204]. وظهرت أيضا في "الكهانة الآشوروبابليّة"، وفي "الكهانة العربيّة"، حيث غلب الجانب الوحيّي الحُلميّ على عمل أو نشاط الكاهن– العرّاف في هذه الكهانات، فكان ناقلاً لرسائل الآلهة وأجوبتها وباتًّا – على ضوء ذلك– في شؤون المُستقبل[205].

وحتّى على مستوى التّسمية، فإنّ الطّابع الحرّ للكهانة العربيّة أتاح نوعًا من التّقارب بين "الكاهن" و"الرَّوْء" أو "الرّائي" –صاحب الرُّؤى والنّاظر في الفال– الّذي كان يُعتبر السّلف البدائيّ للنّبيّ، والّذي كان معروفًا باسم "حوزي" أو "حازي" في جزيرة العرب، فقد اقترب الحازي بالكاهن وصار مثيلاً له فشاركه في كثير من مُمارساته الكهانيّة، وإلى جانب هذا الاشتراك الاسميّ والمُمارستيّ مع "الكاهن"، فإنّ "الحازي" أو "الرّائي" يشترك أيضًا مع "العرّاف" في معرفة أسرار الآلهة مع فارق جوهريّ، هو أنّ معرفة "الحازي" ذات طابع بصريّ، أمّا معرفة "العرّاف"، فهي ناجمة عن مُسَارَة وتلقين ذهنيّ لهذه الأسرار وفق إفادة توفيق فهد[206].

لذلك فإنّه يُمكننا القول أنّ "الرُّؤيا" مثّلت في الطّرائق الكهانيّة والعِرافيّة ذلك المُشترك الموضوعيّ بين "العرّاف و"الكاهن" والحازي"، فهي في كلا السّياقين العِرافيّ والكهانيّ رسائل حُلُميَّةٌ شِفْرِيَّةٌ من الآلهة.

خاتمة:لقد مثّلت الرُّؤى والأحلام لغة إنسانيّة عالميّة جمعت البشريّة بأسرها من طورها البدائيّ إلى طورها الحضاريّ أو الحداثيّ، فكانت الرُّؤيا بتوصيفاتها وتمظهراتها ومُسمّياتها المختلفة وحيًا أو بعض وحي من الخالق، لذلك أولاها الأوّلون الأقدمون والمتأخّرون اللاّحقون اهتمامًا لا نظير له، ولعلّ أبرز من سلبت "الرُّؤيا" عقولهم وأسرت وِجدانهم وخيالهم، وحَرّكَتْ وسَطَّرَتْ تاريخهم وفِعالهم اليهود والنّصارى الّذين أقاموا "للرُّؤيا" أدبًا هو الأدب وشيّدوا بها فكرًا، وغيّروا بها واقعًا، فقد اهتمّ أهل الكتاب بـــ"الرُّؤيا" كوحي ونبوءة مُتحقّقة الحصول، فكانت لهم نصوصهم "الرُّؤيويّة" الّتي شكّلت صنفًا فريدًا من الأدب هو الأدب "الرّؤيويّ" أو "الجليانيّ" الّذي أفرز بدوره فكرًا "رؤيويًّا" لم تَخْبُ ناره إلى يومنا.

❖ **النّتائج:**

✓ تؤكّد دراسة ظاهرة الرُّؤى والأحلام في تاريخ الشّعوب القديمة أنّ هذه الظّاهرة ظلّت أمرًا مُلازمًا للبشريّة في مراحل تاريخها المُختلفة، من طورها البِدائيّ إلى طورها المدنيّ الحضاريّ.

✓ تبيّن لنا أيضا فيهذا البحث أنّ الرُّؤيا كانت لدى تلك الشّعوب المُختلفة وسيلة للمعرفة ولاستكناه حقائق الغيْب، كما كان لها أيضًا تأثيرها البالغ في الحياة العامّة وفي شُؤون السّياسة والحُكم، وفي تشكّل العقائد الإيمانيّة لدى هذه الشّعوب،وإجمالاً فقد لعِبت دورًا هامًّا في الأدب والدّين والشّؤون العامّة لدى كلّ هذه الشّعوب.

✓ إنّ المُقاربات الاصطلاحيّة والعِلميّة بشأن"الرُّؤيا" كانت جمّة غزيرة، فقد تمّ إخضاع مُصطلح "الرُّؤيا" للضّبط الاصطلاحيّ والدّرس العلميّ، لتنتج عن ذلك جُملة من

[204] – طريقة كهانيّة تُشبه الاستخارة.

[205] – انظر: الكهانة العربية قبل الإسلام، لتوفيق فهد، ص 43 و ص 86.

[206] – المرجع نفسه، ص 95.

المُقاربات العلميّة والاصطلاحيّة لهذا المُصطلح، قدّمت جُلّها إفادات هامّة بشأنه.

- ✓ كشفت المقاربة اللّغويّة لمسألة "الرُّؤيا"المعاني الكثيرة للفظ ، سواء في اللّغة العربيّة أو اللّغة الفرنسيّة أو اللّغة الإنجليزيّة، وهو ما يؤكّد الثّراء الدّلاليّ لهذا المصطلح.
- ✓ تناولت المقاربة الفلسفيّة "الرُّؤيا" كوسيلة من وسائل التّكهّن بالغيْب، وتناولتها أيضًا من حيث علاقتها بالوحي الإلهيّ، أو بكلام آخر دار سِجال طويل بين الفلاسفة حول إلهيّة مصدر "الرُّؤيا" من عدمها، وبحثوا أيضًا في حقيقتها (الرُّؤيا) من حيث علاقتها بالطّبيعة الغريزيّة للنّفس البشريّة، كما سعوا أيضًا إلى موضعة "الرُّؤيا" بين ما هو حِسّي وما هو عقليّ.
- ✓ حاولت المقاربة السّيكولوجيّة للمصطلح التّركيز على علاقة "الرُّؤيا" أو الحلم باليقظة، واهتمّت بخصائص الذّاكرة الحلميّة وبالصّلة القائمة بين "الرُّؤيا" أو الحلم واللاّوعي البشريّ، لذلك ركّز "فرويد" في دراسته للرُّؤى والأحلام على ربطها بما سمّاه "اللاّشُعور".
- ✓ ركّزت المقاربة الأنثروبوسوسيولوجيّة في سياق بيانها لأصل ومنشإ المُعتقدات الدّينيّة عند "البدائيّين"، على "الرُّؤيا" كعُنصر أساسيّ في تشكّل هذه المُعتقدات، بل إنّ نظريّة كلّ من "Edward Burnett Taylor" و"Herbert Spencer" في أصل الدّين بُنيت على هذا التّصوّر.
- ✓ حاولت المُقاربة الباراسيكولوجيّة بحث الجانب الخارق أو التّنبّئيّ في "الرُّؤيا" أو الحلم، لذلك اجتهد علماء "الباراسيكولوجيا" في إيجاد التّفسيرات والتّبريرات العلميّة البحتة للأحلام الجليّة « Lucid Dreaming »، أي الّتي تتحقّق حرفيًّا وبدِقّة عجيبة في الواقع، فاعتبروا أنّ تفسير ذلك هو وُجود حاسّة خارقة في الإنسان تخترق الزّمان وتستشفّ ما وراءه من حوادث مُقبلة.
- ✓ إنّ المقاربات العلميّة لمُصطلح الرُّؤيا تعكس في الحقيقة شساعة الحقل الدّلاليّ لهذ المُصطلح، فللرُّؤيا مثلاً صِلةٌ وثيقةٌ بالمُعتقد ومُؤيّداته، ونعني بذلك "الوحي" و"النّبوّة"، فهي في علاقتها بالوحي شكل من أشكاله أو مرتبة من مراتبه، وهي في علاقتها بالنّبوّة جزء من أجزائها ومؤيّد من مُؤيّداتها، وصِلة بين الإله والنّبيّ.
- ✓ للرّؤيا صلة أيضًا بالحلم الّذي هو في الاصطلاح الشّرعيّ الإسلاميّ ضدّها ونقيضها، وفي الاصطلاح اللّغويّ مثيلها ومُرادفها.
- ✓ للرّؤيا صلة كذلك بـــ "العرافة" و"الكهانة"، فقد كانت مهمّة تعبير "الرُّؤيا" مُوكلة للكَهَنة والعرّافين قديمًا، إذ مثّلت "الرُّؤيا" مُشتركًا موضوعيًّا بين العرّاف والكاهن في الطّرائق الكهانيّة والعرافيّة، فكانت في كِلا السّياقيْن الكهانيّ والعرافيّ، رسائل حلميّة شِفريّة من الآلهة يعمل الكهَنَة والعرّافون على فكّها.
- ✓ الرّؤيا مشترك إنسانيّ عالميّ وموضوع بحث علميّ ومشغل فكريّ وجوديّ أرّق ويؤرّق ذهنيّة الكائن المفكّر.

❖ قائمة المصادر والمراجع:

➢ العربيّة:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

ابن أبي أصيبعة. (1965م)، *عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء*، شرح وتحقيق نزار رضا، د.ط، بيروت، مكتبة الحياة.

ابن الأثير، مجد الدّين أبي السّعادات المبارك بن محمّد الجزري. [د.ت]، *النّهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق طاهر أحمد الزّاوي ومحمود محمّد الطّناحي، بيروت، د.ط، لبنان، دار إحياء التّراث العربيّ.

ابن الحجّاج، مسلم. (1991م)، *صحيح مسلم*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط.1، القاهرة، دار الحديث.

ابن تيميّة، تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد. (2000م)، *النّبوّات*، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطوبان، ط.1، الرياض، مكتبة أضواء السّلف.

ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ. [د.ت]، *فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ*، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د.ط، بيروت، دار المعرفة.

ابن دريد، أبي بكر محمّد بن الحسن. (1345ه)، *جمهرة اللّغة*، ط.1، د.م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة.

ابن سيّده، علي بن إسماعيل: (1958م)، *المُحكم والمُحيط الأعظم في اللّغة*، تحقيق عائشة عبد الرّحمان، ط.1، إصدار معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن. [د.ت]، *معجم مقاييس اللّغة*، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، د.ط، د.م، دار الفكر.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل. [د.ت]، *البداية والنّهاية*، تحقيق محمّد بيّومي وعبد الله المنشاويّ ومحمّد رضوان مهنّا، د.ط، القاهرة، الدّار الذّهبيّة للطّبع والنّشر والتّوزيع.

ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم. (2000م)، *لسان العرب*، ط.1، بيروت، لبنان، دار صادر للطّباعة والنشر.

الأفسسيّ، أرطميدوروس. (1991م)، *تعبير الرّؤيا*، نقله إلى العربيّة حنين بن إسحاق، تحقيق د. عبد المنعم الحفنيّ، د.ط، القاهرة، دار الرّشاد.

باقر، طه: [د.ت]، *ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة*، د.ط، د.م، د.ن.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل. (1400هـ)، *الجامع الصّحيح*، تحقيق محبّ الدّين الخطيب، ط.1، القاهرة، المطبعة السّلفيّة.

بودوان، شارل. (1992م)، *علم النّفس المركّب، تفسير أعمال يونغ*، ترجمة وتقديم سامي علاّم، د.ط، دمشق، دار الغربال.

التّرمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى. (1962م)، *الجامع الصّحيح (السُنن)*، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط.1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

التّهانوي، محمّد علي. (1996م)، *موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق علي دحروج، مراجعة وتقديم رفيق العجم، ط.1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

تولرا، فيليب لابورث وفارنييه، جان بيار. (2004م)، *إثنولوجيا أنثروبولوجيا*، ترجمة مصباح الصّمد، ط.1، بيروت، لبنان، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع.

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. (1376هـ)، *الصّحاح*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط.1، بيروت، دار العلم للملايين.

حاجي خليفة. [د.ت]، *كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون*، د.ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التّراث العربيّ.

حجازي، عوض الله. (1981م)، *مقارنة الأديان بين اليهوديّة والإسلام*، ط.2، الأزهر، دار الطّباعة المحمّديّة.

الخريجي، عبد الله. (1990م)، *علم الاجتماع الدّينيّ، سلسلة دراسات في المجتمع العربيّ السّعوديّ، الكتاب التّاسع*، ط.2، جدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، توزيع شركة رامتان.

د. سر قبالي راد كرشنا ود. شارلز مور. (1967م)، *الفكر الفلسفيّ الهنديّ*، ترجمة ندره اليازجيّ، د.ط، دمشق، دار اليقظة العربيّة.

دائرة المعارف الكتابيّة. (1996م)، ط.2، القاهرة ، دار الثّقافة.

راجح، أحمد عزّت. (1968م)، *أصول علم النّفس* ط.7، القاهرة، دار الكاتب العربي للطّباعة والنّشر.

الرّازي، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر. (2003م)، مُختار الصّحاح، د.ط، القاهرة، دار الحديث.

الزّرقاني، محمّد عبد العظيم. (1995م)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، ط.1، بيروت، دار الكتاب العربيّ.

الزّركلي، خير الدّين. (2002م)، *الأعلام*، ط.15، بيروت، دار العلم للملايين.

السّواح، فراس. (2002م)، *جلجامش ملحمة الرّافدين الخالدة*، ط.2، دمشق، سورية، دار علاء الدّين للنّشر والتّوزيع والتّرجمة.

السّواح، فراس. (2002م)، *مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطُورة، سوريا وبلاد الرّافدين*، ط.13، سوريّة، دار علاء الدّين للنّشر والتّوزيع والتّرجمة.

سيجال، ص: [د.ت]، *حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل* ، ترجمة حسن ظاظا، د.ط، منشورات جامعة بيروت العربية.

الشّافعي، أبو مدين. [د.ت]، *الوهم*، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربيّ.

الشّنتاوي، أحمد: (1959م)، *التّنبؤ بالغيب قديما وحديثا*، د.ط، القاهرة، دار المعارف.

شيشرون. [د.ت]، *علم الغيب في العالم القديم*، ترجمة وشرح وتعليق توفيق الطّويل، د.ط، القاهرة، نشر مكتبة الآداب بالجماميز.

الطّبرانيّ، سليمان بن أحمد. (1980م)، *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي عبد المجيد السّلفيّ، ط.1، العراق، نشر مطبعة الوطن العربيّ.

طرابيشي، جورج. (2006م)، *معجم الفلاسفة*، ط.3، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطّباعة والنّشر.

الطّويل، توفيق: (1945م)، *الأحلام*، ط.1، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعة التّوكّل.

عبد الباقي، محمّد فؤاد. (1364هـ)، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، د.ط، مطبعة دار الكتب المصريّة.

عبد القادر، طه فرج. (2009م)، *موسوعة علم النّفس والتّحليل النّفسيّ*، ط.1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة.

عجيبة، أحمد علي. (2004م)، *موسوعة العقيدة والأديان*، ط.1، القاهرة، دار الآفاق العربيّة.

غربال، محمّد شفيق. (2010م)، *الموسوعة العربيّة الميسّرة*، ط.1، بيروت، المكتبة العصريّة.

فاضل، علي عبد الواحد. (1999م)، *الطّوفان في المراجع السّماويّة*، ط.1، دمشق، سوريّة، دار الأهالي للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (2003م)، *كتاب العين*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط.1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة.

فروم، إريش. (1990م)، *الحكايات والأساطير والأحلام*، ترجمة صلاح حاتم، ط.1، سوريّة اللّاذقيّة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع.

فرويد سيجموند. (1962م)، *تفسير الأحلام*، ترجمة وتبسيط وتلخيص نظمي لوقا، سلسلة كتاب الهلال، العدد 137، أغسطس، القاهرة، دار الهلال للطّباعة والنّشر.

فرويد، سيجموند. (1986م)، *خمسة دروس في التّحليل النّفسيّ*، ترجمة جورج طرابيشي، ط.3، بيروت، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر.

فهد توفيق. [د. ت]، *الكهانة العربيّة قبل الإسلام*، ترجمة حسن عودة ورندة بعث، تقديم رضوان السيّد، د.ط، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنّشر والتّوزيع.

الفيروز آبادي. (2008م)، *القاموس المحيط*، تحقيق أنيس محمد الشّامي، ط.1، القاهرة، دار الحديث للطّبع والنّشر والتّوزيع،.

قمري، سميرة. [د.ت]، *الحلم والرّؤيا في الفلسفة والعلم والدّين*، اللّاذقيّة، د.ط، سورية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع.

الكرميّ، حسن سعيد. (1991م)، *الهادي إلى لغة العرب*، ط.1، بيروت، لبنان، دار لبنان للطّباعة والنّشر.

م. بونغراكز، و.ج. سانتنز. (1983م)، *الأحلام عبر العصور: مُعجم تفسير الأحلام*، نقله إلى العربيّة كميل داغر، ط.1، بيروت، دار النّهار للنشر.

الماجديّ، خزعل. (1998م)، *إنجيل بابل*، الطّبعة العربيّة الأولى، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، الأهليّة للنشر والتّوزيع.

مجموعة من الأساتذة واللّاهوتيّين. (1995م)، *قاموس الكتاب المقدّس*، ط.1، القاهرة، دار الثّقافة

مجموعة من المؤلّفين. (1999م)، *الموسوعة العربيّة العالميّة*، ط.2، الرّياض، المملكة العربيّة السعوديّة، مؤسّسة أعمال الموسوعة للنّشر والتّوزيع.

مجموعة من المؤلّفين، تحت إشراف محمود حمدي زقزوق. (2001م)، *الموسوعة الإسلاميّة العامّة*، د.ط، القاهرة، إصدار وزارة الأوقاف المصريّة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة،.

محمود مصطفى. (1986م)، *الأحلام*، د.ط، القاهرة، دار المعارف،.

مدكور، إبراهيم. [د.ت]، *في الفلسفة الإسلاميّة، منهج وتطبيقه*، ط.2، القاهرة، دار المعارف.

المصري حسين مجيب. [د.ت]، *الأسطورة بين العرب والفرس والتّرك: دراسة مقارنة*، د.م، الدّار الثقافيّة للنّشر.

الموصلي، سامي أحمد. [د.ت] *الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات*، د.ط، بغداد، دار الحريّة للطّباعة.

النّيسابوريّ، الحاكم. (1997م)، *المُستدرك على الصّحيحين*، ط.1، القاهرة، دار الحرمين للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

وافي، علي عبد الواحد. (1964م)، *الأسفار المقدّسة في الأديان السّابقة للإسلام*، ط.1، القاهرة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر.

الوردي، علي. (1994م)، *الأحلام بين العلم والعقيدة*، ط.2، لندن، دار كوفان للنّشر.

الأجنبيّة:

Charuty Giordana. (1996), Destins anthropologiques du Rêve, *Terrain (Revue d'ethnologie de l'Europe)*, 26, 5-18.

Dictionnaire des Philosophes, 2éme édition, (1984), Paris, presses Universitaires de France.

Dictionnaire Hachette Encyclopédique (Grand format), (2001), Paris, Hachette livre.

Encyclopaedia Universalis, (1992), France, Corpus.

Encyclopedia Universalis, (1985), Le rêve.

English-Arabic Dictionary of the three great religions: Judaism-Christianity-Islam, (2007), compiled and verified: Nouredin Khalil, Revised by Mahmoud Adam, Alexandria, Egypt, Horus international institution for publishing and distribuation.

Ginoux. Philippe. (1986), Nouveaux regards sur l'Apocalyptique Iranienne, *Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres*, 130(2), 334-346.

Hadfield. James Arthur. (1973), *Dreams and nigh mares*, LTD, August, Penguin books.

Harrap's, Shorter : Dictionnaire Anglais-Français, Français-Anglais, (2004), Harra édition.

Jung. C.G, loffont. R. (1964), *L'homme et ses symboles*.

Le grand Larousse universel, (1994), Paris, Larousse.

Le Nouveau Petit Robert de la langue française, nouvelle édition, (2008), millésime.

Rhine. Joseph Banks. (1947), *The reach of the mind*, William Sloane associates.

Sounerou. Serge, Leibovici. M. (1959), *Les Songes et leur interprétation*, seuil, Sources Orientales.

Teillard. A. (1969), *Ce que disent les rêves, Le symbolisme du rêve*, Stock+plus.

Thorndike English-English Arabic, Dictionary, First printed, (2010), Lebanon, Librairie du Liban publishers.

Tyrrell, G.N.M. (1947), *The personality of man*, 1st pub, London Melbourne, Baltimore, penguin books.